الجمهورية العراقية
وزارة التربية

القرآن الكريم وتفسيره

للصف الخامس الابتدائي

الجزء "٢٩"

الجمهورية العراقية
وزارة التربية

القرآن الكريم
وتفسيره

للصف الخامس الابتدائي

الجزء "٢٩"

بِسمِ ٱللهِ ٱلرحمٰنِ ٱلرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين

وبعد : فلا يخفى على اهل الضاد ، ما للقرآن الكريم من أثر عظيم ، في تقويم اللسان ، وتهذيب البيان ، لذا استقر الرأي على أخذ الناشئين بدراسته وتفهمه وحفظ جزء منه ، لكي يدرجوا على النطق الصحيح ، ويألفوا البيان الفصيح ، ويتشربوا ما في آيه من قيم ومثل سامية ، ولكن الناشئين لا يبلغون هذه الغايات ، اذا طلب اليهم استظهار القرآن قبل ان توضح لهم بعض اساليبه ومعانيه .

ومن أجل ذلك وضع هذا الكتاب تيسيراً لتحقيق ما أشرنا اليه من غايات عظيمة .

وقد بذل في اعداده جهد كبير ، تمثّل في الرجوع الى المشهور من كتب التفسير واستشارة المعجمات اللغوية ، ومناقشة الآراء الشخصية والمأثورة ، واستخلاص أليقها وأقربها اتصالاً بأمور الحياة ونظريات العلوم .

ولما كان خط المصحف خاصاً به ، ولا يقاس عليه ، فقد جعلنا نصوص الآيات الكريمة في هذا الكتاب بخط المصحف وطريقة رسمه ، حفاظاً عليه وتعويداً لأبنائنا على قراءته

ونرجو في عملنا هذا ان نكون قد حققنا بعض ما نصبوا اليه من خدمة القرآن الكريم . ولغتنا العربية وابنائنا الناشئين .

والله الموفق

سورة المُلْك

نزلت بمكة ، وآياتها ثلاثون آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية الحادية عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ
الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾
الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ۖ
فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ
يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ
الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ
عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ
الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ
مِنَ الْغَيْظِ ۖ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾
قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ

إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿١٠﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَٰبِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
تبارك	تعاظم وتكاثر خيره وبركتُه
ليبْلُوكمْ	ليختبركم ويمتحنكم .
العزيزُ	القوى الغالب .
سبع سموات	سبعة مدارات للكواكب السبع السيارة .
طباقاً	طبقات بعضها فوق بعض .
تفاوت	اختلال وعدم تناسب .
ارجع البصر	انظر مرات نظر فاحص متأمل .
فطور	شقوق أو خلل .
كرتين	مرتين ، والمراد : ترديد النظر .
خاسئاً	خائباً ذليلا صاغراً .
حَسير	ضعيف ، كليل من تكرار النظر .
السماء الدنيا	أقرب السموات إلينا .
بمصابيح	بنجوم مضيئة .
رجوماً	ظنوناً وأوهاماً .
للشياطين	للخارجين من الناس عن طاعة الله .
أعتدنا	أعددنا وهيأنا .
السعير	النار الملتهبة .

الألفاظ	شرحها
شهيقاً	صوتاً شديداً كصوت الباكى ، أو الشديدِ الغيظ .
تفور	تغلى غلياناً شديداً .
تميَّز	تتفرق أجزاؤها ، وتتقطع من شدة الغيظ .
فوج	جماعة .
نذير	رسول من عند الله ، يخوّفكم عاقبة أمركم .
بلى	كلمة تدل على التصديق .
إن أنتم	ما أنتم .
نسمع	نقبل ما نسمع قبولا حسناً .
نعقل	نفكر .
سحقاً	بعداً عن رحمة الله .

مجمل المعنى

١ — إن الله الذى يتصرف فى أمور مخلوقاته كلها لعظيمُ الشأن ، كثير الخير والبركة ، قادر على كل شىء ، فقد أوجد فينا الحياة بعد العدم ليمتحننا ، فينظر : من منا أخلص فى العمل على طاعته ، أو جنح إلى معصيته ؟ وهو القوى الشديد ، ذُو العرشِ المجيد ، المنتقم ممن عصاه ، الغفور لمن تاب إليه مما جناه .

٢ — وقد بيَّن الله تعالى فى هذا المقام ، أن الإنسان لو تبصر ، لرأى أن الله جلّت قدرته ، هو الذى خلق سبعةَ مدارات للكواكب بعضها فوق بعض ، ليس فيها خلل ولا عيبٌ ، وهذه الكواكبُ السيارة السبع ، هى التى كانت

معروفةً عند العرب ؛ ولو تأمّلنا فى السموات ، لرأينا تناسبها وتماسكها ، بما بينها من تجاذب ، وإذا تكرر النظر فيها وتردد ، فإنه سيرتدُّ إلى الناظر خائباً كليلا ضعيفاً ، أمام هذه القدرة العظيمة ، لأنه مع تكرار النظر ، والتفكُّر فيما يراه ، لا يَرى إلا نظاماً عجيباً ، يعم جميع الكائنات ، وقدرة باهرة ، يعجز عنها جميع المخلوقات .

٣ — وإذا نظر الإنسان إلى السماء التى هى أقربُ السموات إلينا ، وجدها تَظهرُ ليلا فى أجمل هيئة ، وأبهى زينة ، وبعض الدجالين من المنجّمين ، يَدّعى أنهُ باطلاعه على هذه النجوم ، يستطيع أن يتنبأ عن المستقبل رجماً بالغيب ، من غير دَليل ولا برهان ، وهؤلاء المنجمون يُضللونَ الناسَ بهذه الظنون والأوهام ؛ وهم يُشبهون فى تضليلهم وتهويشهم الشياطين ؛ والمراد بكونه تعالى جعل هذه النجوم ظنوناً وأوهاماً لهؤلاء المنجّمين : أن عمل هؤلاء كان بالنظر فى النجوم ؛ ولقد أعدّ الله لهؤلاء المضللينَ يومَ القيامة ناراً شديدة ذات لهب ، يصيرون إليها أسوأ مصير .

٤ — فإذا أُلقِي هؤلاء فى النار ، سمعوا لها وهى تغلى غليان القِدْر ، صوتاً كصوت الغضبان المتغيّظ ، الذى تهيأ لهُ الفرصَةُ للانتقام من أعدائه ، وتكاد هذه النارُ لشدة غليانها ، وارتفاع لهيبها ، تتفرقُ أجزاؤها بعضها عن بعض .

٥ — وكلما طُرح جماعةٌ منهم فيها ، قال لهم الزبانية الموكلونَ بالنار توبيخاً لهم : ألم يأتكم رسولٌ من عند الله يخوّفكم لقاء يومكم هذا ؟! وعند ذلك

يعترفون فى ذِلة وَخضُوع ، بأن الله أرسلَ إليهم رَسولا ! ولكنهم كذّبوه وقاوموه .

٦ — ثم يندمون ويقولون : لو كان لنا آذان تتقبلُ بقبول حسن ما تسمعه من الرسول ، أو عقولٌ تفكرُ فيما جاء به ، ما عوقبنا بهذا العذاب الأليم ، ولكن ندمهم ، واعترافهم بذنبهم ، جاء بعد فوات الفرصة ، فكان جزاؤهم يوم القيامة ما لقوه من العذاب .

(٢)

من الآية ١٢ إلى الآية ٢٤ من سورة الملك

إِنَّ الَّذِينَ
يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ
أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ
اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا
فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِي
السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي
السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ
كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ
فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ
إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ
رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ
أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ

وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يخشون	يخافون .
بالغيب	وهم بعيدون عن أعين الناس .
بذات الصدور	بما فى الضمائر من خواطر .
اللطيف الخبير	العالم بما ظهر أو خفى من خلقه .
ذلولا	سهلة للمشى فيها .
مناكبها	جوانبها ونواحيها وطرقها .
النشور	البعث يوم القيامة .
من فى السماء	سُلطان الله وقدرته .
يخسف بكم الأرض	يغيِّبكم فيها .
تمور	تضطرب وتتحرك .
حاصباً	ريحاً ترميكم بالحصباء ، وهى صغار الحصى .
نذير	تخويفى .
نكير	عقابى للمنكِر ، وعاقبة تغيُّرى وسخطى .
صافات	ناشرات أجنحتهن .
يقبضن	يضممن أجنحتهن
ما يمسكهن	ما يمنعهن من السقوط .
بصير	عالم خبير .

الألفاظ	شرحها
جُند لكم	أنصار وأعوان .
من دون الرحمن	من غير الرحمن .
إن الكافرون	ما الكافرون .
غرور	غفلة وخداع .
أمسك رزقه	منعه .
لجُّوا	تمادوا واستمروا .
عُتُوّ	عناد وتكبر .
نُفور	بُعدٍ عن الحق .
مكبًّا على وجهه	وجههُ إلى الأرض .
سويًّا	معتدل القامة .
صراط	طريق .
أنشأكم	خلقكم .
الأفئدة	المدارك والعقول .
ما تشكرون	ما هنا : زائدة .
ذرأكم	خلقكم وكثّركم .
تحشرون	تجمعون يوم القيامة .

مجمل المعنى

١ — إن الذين يخافون ربهم فلا يعصونه ، ولو كانوا مختفين عن أعين الناس ، ويطيعونه فى السر كما يطيعونه فى العلانية ، يغفر الله لهم ذنوبهم ، ولهم يوم القيامة أجرٌ كبيرٌ ؛ وإنه ليَستْوى عند الله القولُ والعملُ فى السرّ

والجهر ، فإنه مطلعٌ على ضمائر الناس ، وما تخفيه صدورهم ، لأنه خالقهم ، فكيف يكون خالقهم ، ولا يعلم ما تنطوى عليه نفوسهم .

٢ — ومن مظاهر قدرته ورحمته ، أنه خلق الأرض ، ويسر لنا السير فيها ، فعلينا أن نجتهد فى السعى للحصول على أرزاقنا ، بالضرب فى مناحى الأرض ، ونسير فيها سير من يعلم أن مصيره يوم القيامة إلى الله ، فلا يرتكب فى سبيل سعيه أية معصية .

٣ — ثم بيَّن الله أن الفضل فى تذليل الأرض ، وتهيئتها للضرب فى مناكبها ، مرجعه إلى الله جلت قدرته ، ولو شاء لأمرَ الأرضَ أن تزلزل ، فتبتلع من على ظهرها ، وتهلكهم ؛ وإذا أمن الناس الخسف لقلة وقوعه ، فهل يأمنون أن يرسل الله عليهم ريحاً شديدة تحمل الحصى ، فتلحقَ الأذى بهم ، ولسوف يظهرُ لهم صدقُ هذا الإنذار ، إن أصرّوا على عنادهم .

٤ — وأراد اللهُ أن يهون على رسوله عليه الصلاة والسلام ، ما يلقاه من أذى قومه ، حتى لا يضيق صدره بعنادهم ، فبيَّن له أن هذه عادة الكفار مع أنبيائهم : يكذبونهم فينزل الله بهم عذابه ، وإن الكفار الذين كذبوه يعرفون كيف كانت عاقبة المتكبرين لرسالة أنبيائهم ، وكيف كانت عاقبةُ سُخط الله عليهم ؟

٥ — فهل عميَ هؤلاء الكفار المعاندون عن آثار قدرة الله ، فلم يروا الطيورَ فى السماء ؟ فقد مكّنها اللهُ أن تنشر أجنحتها تارة ، وتضمها تارة أخرى ، ولا يمنعها من السقوط إلا قدرةُ الله الخبير ، العالم بكل ما يحدث فى ملكه ؟ إذ خالف فى أجسامها نواميس سائر الأجسام الثقيلة ، وركب لها أجنحة تستعلى بها فى الهواء ، دون أن تسقط .

٦ — وإذا كنتم أيها المشركون لا تلتفتون إلى دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام ، اعتماداً على قوّتكم ، وما لكم من الأنصار والأعوان ، فمن ذا الذى يُنقذكم عن عذاب الله فى الدنيا إن أراده ، كما حدث لغيركم ؟ فما أنتم أيها الكفار المستكبرون عن قبول دعوة الرسول ، إلا غافلون مخدوعون ؛ ومن ذا الذى يستطيع من الخلق أن يرزقكم ، إن أراد الخالقُ أن يمنع أسباب الرزق عنكم ؟ إنكم لتعلمون أن الله قادرٌ على أن يرسل عليكم عذاباً من فوقكم ، أو من تحت أرجلكم ، لأنكم تستمرون فى غَوايتكم وضلالكم ، وتتكبرون على الإذعان للحق ، مع أنه واضحٌ وضوحاً لا خفاء فيه ، فمثلكم فى عبادة الأصنام التى تدل على جهالتكم ، كمثل من يسير ووجهه إلى الأرض ، إما لضعف فى بصره ، أو وعورة فى طريقه ، فهو يتعثر ويسقط على وجهه — أفمن هذه حاله من العمى والضلال ، كمن سار فى طريق الهدى ، واستضاء بنور العقل ، فعَبدَ الله وحده ، وأقر بربوبيته ، وسار معتدل القامة فى طريق مستقيم ، لا عوج فيه ولا انحراف ؟ فأى الطريقين أهدى سبيلا ، وأقوم طريقاً .

٧ — قل لهم أيها الرسولُ الكريمُ ، للدلالة على قدرتنا : مَن الذى خلقكم من العدم ، وجهزكم بأسباب الهداية ، فخلق فيكم السمعَ والبصر والعقل ؟ لقد أفسدتم هذه المواهب ، فلم تقبلوا ما سمعتموه ، ولم تعتبروا بما أبصرتموه ، ولم تتأملوا فيما عقلتموه ، وكان أولى لكم أن تشكروه على نعمه ؟ وقل لهم : من الذى أوجدكم بقدرته ، وكثّركم فى الأرض ، تنتفعون بطيباتها ، ثم يجمعكم يوم القيامة للحساب ؟ لا أحد غير الله جل شأنه .

(٣)

من الآية ٢٥ من سورة الملك ، إلى آخر السورة

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا
الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا
نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا
الَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ اللَّهُ وَمَن مَّعِىَ
أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ
وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ
إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۢ ﴿٣٠﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
الوعد	يوم القيامة .
العلم	علم يوم القيامة .
نذيرٌ	مبلِّغ .
زُلفةً	قريباً .

الألفاظ	شرحها
سيئت وجوه	علاها الحزن .
تَدَّعون	تطلبون وتسألون .
أرأيتم	أخبرونى .
يجير	ينقذ .
غوراً	غائراً فى الأرض .
مَعِين	جار على الأرض ، سهل المأخذ .

مجمل المعنى

١ — كان الكفار حين يُحذِّرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عاقبة تماديهم فى ضلالهم ، وما سيلقون من عذاب الله يوم القيامة ، يقولون للمسلمين على سبيل الاستهزاء والسخرية : متى يوم القيامة الذى تهددوننا بالعذاب فيه ؟ فأمر الله رسوله أن يخبرهم أن يوم القيامة آت لا ريب فيه ، ولكن لايعلمه إلا الله وحده ، وما هو إلا مبلغٌ رسالة ربه ، وليس من مستلزمات التبليغ العلمُ بيوم القيامة .

٢ — وقد صوّر الله حال الكفار حين يرون هذا اليوم عِياناً ، بأن وجوههم تعلوها الكآبة والحزن والحسرة ، وتصير كوجوه المجرمين حين يقادون إلى ساحة الإعدام ، ويقال لهم : هذا هو اليوم الذى كنتم تطلبونه فى الدنيا استهزاءً ، وتستعجلونه سخرية بدعوة النبى عليه الصلاة والسلام .

٣ — وكان الكفارُ من قريش يحاولون قتل الرسول ، ويقول بعضهم لبعض : انتظروا ، فهو لابد أن ينقضى أجله ، وتموت معه دعوته ؛ فشدد الله عزيمة الرسول ، بأن أمرهُ أن يقول للكفار : أخبرونى أيها المشركون ، إنْ أماتنىَ الله ومن معى من المؤمنين كما تتمنوْن وتحاولون ، أو رحمنا بتأخير آجالنا ، فهل هذا يُنقذكم من عذاب الله يوم القيامة ؟

٤ — قل لهؤلاء الكافرين : إن الذى أدعوكم إلى عبادته ، هو الله الرحيم بخلقه ، وقد آمنَّا به وحده ، وإليه جميع أمرنا ، يُصرفه كيفما شاء بحكمته ، وعما قريب تعلمون : من منا حاد عن طريق الهداية ، واتبع سبيل الغواية ، حين تتم لنا الغلبة عليكم ، وتعلو كلمة الإسلام على كلمتكم .

٥ — وأراد الله أن يختم آيات التهديد والإنذار ، بما يُذكرهم بنعمة الله عليهم . فهو يمن عليهم بالماء الذى يجرى فى متناول أيديهم ، وتحت مواقع أبصارهم ، ولو أراد الله لغيَّض هذا الماء ، حتى يعجزوا عن الوصول إليه ، فلا يجدوا منه قطرة تطفئ ظمأهم ، أو تُروى زرعهم وضرعهم .

سورة القلم

نزلت بمكة، إلا الآيات من ١٧-٣٣ ومن ٤٨-٥٠ فقد نزلت بالمدينة

(١)

من الآية الأولى إلى الآية ١٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ
لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ
﴿٥﴾ بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ
﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ
لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ
وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾
سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ن	حرفٌ من حروف الهجاء .
والقلم	أقسم بالقلم الذى يكتب به .
وما يسطرون	وأقسم بما يكتبون .
ممنون	مقطوع أو منقوص .
فستبصر	فستعلم .
بأيكم	أيكم ، والباء زائدة .
المفتون	المجنون .
تُدْهن	تُلاين وتتسامح .
يُدهنون	يُلاينونك بترك الطعن فيك .
حلاَّف	كثير الحلف بالحق أو الباطل .
مَهين	حقير .
همّاز	عيَّاب ، يذكر الناس بالمكروه .
مشَّاء	نقَّال للحديث .
بنميم	بالنميمة للإفساد .
مناّع للخير	بخيل ممسك .
أثيم	كثير الذنوب .
عُتلّ	فظ جافى الطبع .
زنيم	من ينتسب إلى قوم وليس منهم .
أن كان	ألأن كان ، أمن أجل أن كان ؟
آياتنا	ما أنزلنا من القرآن .

الألفاظ	شرحها
أساطيرُ	أباطيل .
سنسمه	نكويه ، ونجعل له سمة أى علامة .
الخرطوم	الأنف .

مجمل المعنى

١ — بدأ الله سبحانه وتعالى هذه السورة بحرف من حروف الهجاء ، إشارة إلى أن القرآن الكريم كله مؤلف من حروف مثل هذا الحرف ، ولكن الله جلت قدرته ، صاغه صياغة يعجز عن مثلها البشر ؛ ثم أقسم بالقلم وما يسطره الكاتبون ، للدلالة على شرف معرفة القراءة والكتابة ، وللحض على تعلمها — أقسم بهذا على أن الله قد خص نبيه برجحان العقل ، وسداد الفكر ، وأن ما يرميه به الكفار من الجنون ، ينبغى ألاّ يوهن من رسالته ، ويفت فى عضده ، لأنه كذب واختلاق ، وعلى أن له عند الله أجراً عظيما لا ينقطع ولا ينقص ، لاحتماله أذى الكفار ، وعلى أن ما يرجفون به من إصابته بالخبل ، وضعف العقل ، لا يمكن أن يصرف القلوب عن دعوته ، ويزهد النبى فى رسالته .

٢ — ثم بيَّن الله أن الرسولَ ذو خلق عظيم ، لا يبلغه أحدٌ من الناس ، مهما ارتفع قدره ، وعلا شأنه ، ومن كان كذلك ، لا يمكن أن يُتَّهم بالجنون ؛ وسترى أيها الرسول وسيرون معك ، حينما يظهر دين الحق ، وينتشر نور الهدى والإيمان بفضلك ، أنهم هم المفتونون المجانين ، الذين لا يميزون ، وأنك أنت الذى اهتديت بعقلك إلى سبيل الرشاد .

٣ — ولما كان هؤلاء المكذبون للرسول قد حادوا عن سبيل الهدى ، وتمنوا أن يتدين محمد مثلهم بدين آبائهم ، فيعبدَ مثلهم الأصنام ، فقد نهاه اللهُ عن إطاعتهم ، وأمرَه أن يداوم على الدعوة إلى الدين الحق ، ولا يبالى ما يوده هؤلاء الكفارُ من التسامح معهم ، بترك الطعن فى عبادة الأصنام ، حتى يلينوا له ، ولا يسرفوا فى أذى من أسلم من الضعفاء ، بل ينبغى أن يكون على حذر منهم .

٤ — ونهاه أن يطيع من كان كثير الحلف بالحق والباطل ، لأنه يشعر بحقارة منزلته عند الناس ، إذ لو كان له مكانة رفيعة عندهم ، لما احتاج إلى تأييد كلامه بالحلف ؛ والمراد بهذا : الوليد بن المغيرة ، كان من زعماء قريش وصناديدها وأغنيائها ، وكان يجمع إلى كثرة الحلف بالحق والباطل ، الإكثار من إذاعة مقالة السوء عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فى غيبته وحضوره ، ويمشى بالوقيعة والإفساد بين الناس ، لإثارة الأحقاد والعداوات ، وكان يحول بين الناس وبين ما يريدونه من عمل الخير ، وكان ظالماً : يتعدى حدود العدل والإنصاف فى معاملة الناس ، ويهضم حقوقهم ؛ وكان لا يعبأ بما يقترفه من الآثام والذنوب ، وكان فظًّا غليظ الطباع ، لئيماً دنىء الأصل .

٥ — ونهى الله عز وجل رسوله عليه الصلاة والسلام عن المبالاة بهذا الوليد . الذى اتصف بهذه الصفات ، المباهى بكثرة ماله ، المعتزّ بتعدد أبنائه ، المغترّ بجاهه ونفوذه ، المتمادى فى ضلاله ، فإذا تليت عليه آيات القرآن الكريم ، قال : إنها أكاذيب تحكى عن الأمم الماضية ؛ من أجل هذا سيلحق الله به يوم القيامة الذل والمهانة والاحتقار ، وسينكّل به

أشنع تنكيل ، ويشوّه وجهه أبشع تشويه ، وذلك بكيه فى أشرف موضع فى الوجه ، الذى هو أشرف شىء فى الجسم .

(٢)

من الآية ١٧ إلى الآية ٣٣ من سورة القلم

إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ
إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا
طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَٰٓئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟
مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟
وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾
وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ
مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟
سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن
يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ
وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۘ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
بلوناهم	امتحنا أهل مكة .
الجنة	البستان .
ليصرمنها	ليقطعن ثمارها .
مصبحين	وقت الصباح .
لا يستثنون	لا يعلقون ذلك على مشيئة الله .
طاف عليها	نزل بها .
طائف	عذاب ، وهو الحريق .
كالصَّريم	كالليل فى سواده .
فتنادوا	نادى بعضهم بعضاً .
اغدوا	اخرجوا فى الصباح الباكر .
حرثكم	ثماركم .
صارمين	قاطعين لها .
يتخافتون	يتحدثون بصوت خافت .
حرْد	منع وحرمان .
لضالّون	لتائهون .
أوسطهم	أفضلهم رأياً .
لولا	هلاّ .
تسبّحون	تذكرون الله وتتوبون إليه .
سبحان ربنا	نتوب إلى الله .
يتلاومون	يلوم بعضهم بعضاً .

الألفاظ	شرحها
ويلنا	هلاكنا .
طاغين	ظالمين .
عسى ربنا	نرجو ربنا .

مجمل المعنى ، وقصة أصحاب البستان

كان أهل مكة ذوى تجارة واسعة ، ومال وافر ، فلما بعث الله رسولهُ محمداً صلى الله عليه وسلم كفروا به ، وآذوه ؛ فأراد الله أن يُذكرهم بما أسبغه عليهم من النعم ، ومقابلتهم لها بالكفران والجحود ، بما وضعوه فى سبيل دعوة الرسول من العقبات ، فضرب لهم مثل أصحاب البستان ، ليبيِّن لهم أن من طغى وبغى ، استحق غضب الله وعذابه .

قصة أصحاب البستان

كان لرجل صالح بستان ، فيه كثيرٌ من أنواع الثمار ، وكان يخص الفقراء بنصيب من ثمارها عند قطفها ، شكراً لله على نعمه ؛ وكان يخبرهم باليوم الذى يجنى فيه ثمار بستانه ، ليحضروا لأخذ نصيبهم منه ! فلما مات ورثه أبناؤه ، فأرادوا أن يحرموا الفقراء ما اعتاده أبوهم من الإحسان إليهم ، فاتفقوا سرًّا على أن يخرجوا فى الصباح الباكر لقطف ثماره ، وأقسموا فيما بينهم على هذا ، وفى غمرة اتفاقهم على حرمان الفقراء ، واستئثارهم بثمار البستان ، لم يذكروا نعمة الله عليهم ، فيعلقوا عملهم فى قطف الثمار وحدهم ، على إرادة الله ، بأن

يقولوا : ننفذ — إن شاء الله — ما اتفقنا عليه ، كما قال جل شأنه : « ولا تقولن لشيء إني فاعلٌ ذلك غداً : إلا أن يشاء الله » ، وفي أثناء نومهم ، سلَّط الله على البستان ناراً فأحرقته عن آخره ، فتلفت الثمار ، واسودت الأشجار من شدة الحريق ؛ فلما أضاء نور الصباح استيقظوا ، ونادى بعضهم بعضاً : هيَّا بنا إلى البستان نقطف ثماره ، في غفلة من الفقراء ؛ وفي أثناء ذهابهم ، كان بعضهم يقول لبعض في فرح وابتهاج بصوت خافت : لن يأتينا اليوم إلى البستان أحدٌ من المساكين ، وقد تم لنا ما أردنا لهم من حرمان .

فلما وصلوا إلى البستان ، هالهم ما رأوه من أثر الحريق ، وظنوا أنهم ضلوا طريقهم ، وأن هذا البستان الذي أتت عليه النار ليس بستانهم ، ولكن واحداً منهم كان أعقلهم وأفضلهم رأياً ، نبههم من غفلتهم ، وقال لهم : ألم أنصحكم بإعطاء المساكين نصيبهم ؟ ألا تذكرون أن الله الذي منحكم هذه النعمة ، قادر على سلبها منكم ؟ فتوبوا إليه واستغفروه ؛ عند ذلك أدركوا خطأهم ، واستعظموا ذنبهم ، واعترفوا بظلمهم ، وأخذ بعضهم يلوم بعضاً ، وطلبوا من الله الصفح والغفران ، ورجوا منه أن يبدلهم من بستانهم خيراً منه ، وعزموا على أن يوفوا الفقراء نصيبهم ، كما كان يفعل أبوهم .

هكذا جزاء الله لمن عصاه ، ولعذاب الآخرة أكبرُ ؛ فكذلك عذاب من عاند الرسول عليه الصلاة والسلام ، واستمر على الكفر والمعصية من أهل مكة ، كالوليد بن المغيرة ، وأمثاله من عصابة قريش ، الذين أنعم اللهُ عليهم بالنعم المختلفة ، فقابلوها بالجحود والكفران ، والتكذيب والاستخفاف والعصيان .

(٣)

من الآية ٣٤ إلى الآية ٤٧ من سورة القلم

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ
جَنَّٰتِ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ
تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا
تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ
لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ
فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ
وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ
ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَن
يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ
إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾
أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
المجرمين	المخالفين للرسول .
مالكم	ماذا أصاب عقولكم ؟ .
كيف تحكمون	كيف تصدرون هذا الحكم المعوج ؟ .
تدرسون	تقرأون .
تخيرون	تختارون .
بالغة	مؤكدة .
لما	للذى .
زعيم	كفيل وضمين .
شركاء	أعوان وأنصار .
يُكشفُ عن ساق	يشتد الأمر يوم القيامة .
خاشعة	ذليلة .
ترهقهم	تلحقهم .
سالمون	فى حالة تمكنهم .
ذرنى	دعنى واتركنى .
الحديث	القرآن .
سنستدرجهم	سنأخذهم على غفلة .
أملى لهم	أمهلهم .
متين	شديد لا يطاق .
أجراً	أجرة على تبليغ الرسالة .
مغرم	غرامة يؤدونها .

الألفاظ	شرحها
مُثْقلون	يصعُبُ عليهم حملُه وأداؤه .
الغيب	ما اختص الله بعلمه .
يكتُبون	ينقلون عنه .

مجمل المعنى

١ — بعد أن بيَّن اللهُ حالَ الكفار المعاندين ، وما أعد لهم من العذاب يوم القيامة ، بيَّن حالَ المؤمنين ، وما أعدّ لهم من أنواع النعيم ، فذكر أن لهؤلاء دُون غيرهم جنات يتنعمون فيها بأصناف النعيم ، ولقد كان الكفار من صَناديد قريش فى حالة من اليسرِ ، وسَعة الغنى ، وكان الصحابة فى شظف وضيق عيش بالنسبة إليهم ، فأخذ الكفار يتهكمون على المسلمين ، يقولون لهم : إن حالنا وحالكم فى الآخرة ، ستكون مثل حالينا فى الدنيا ، إن صحّ أننا نبعث من قبورنا فى دار ثانية كما تقولون ، فإنَّ من فضلنا عليكم فى الرزق فى الدنيا ، هو الذى بيده الأمر فى الآخرة كما تزعمون ؛ فرَدّ اللهُ عليهم ، بأنه ليس من المعقول أن يكون المسلمون الذين أطاعوا وآمنوا بالله ورسوله ، كالمخالفين الذين عصوْا وكفروا ، فإن العدل الإلهى يقضى بعذاب الكافرين ، وثواب المتقين يوم القيامة ، فكيف يحكمُ الكفارُ بأن أعداء الله فى الآخرة كأوليائه ؟ بل يجعلون منازل الفجار فوق منازل الأبرار ؟ وكيف يكون المطيع والعاصى عند الله سواء .

٢ — ثم خاطب الكفار ، توبيخاً لهم على ما توهموه قائلا : هل لكم كتاب نزَلَ من السماء ، كما نَزَل القرآن على الرسول عليه الصلاة والسلام ،

تقرأون فيه أن لكم يومَ القيامة ما تختارون وتشتهون ؟ أو لكم علينا عهود ومواثيق مؤكدة، تبقى أحكامُها نافذةً إلى يوم القيامة ، تأمرنا أن ننزلَ على حكمكم ، ونُنفذ إرادتكم ؟

٣ — ثم طلب الله من رسوله عليه الصلاة والسلام أن يسأل الكفارَ عن الزعيم الذى يَضمنُ لهم ما يقولونه، وعما يدّعون صحته ، وأن يسألهم عن شركائهم الذين يزعمون بأن لهم حظًّا من النعيم يوم القيامة ! فإن كان لهم شركاء يَتوهمون هذا الوهم ، فعليهم أن يأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين ، وإلا فأين دليلهم على ما يزعمون ؟

٤ — ويوم القيامة هو اليوم الذى يشتد فيه الكربُ بالكفار ، ويستفحل فيه الهول ، ويفدح الخطب ، فيدعون إلى السجود توبيخاً لهم على ترك السجود فى الدنيا ، فلا يستطيعون من شدة ما أصابهم من الخوف والفزع ؛ وكيف يستطيعون وقد اصطكّت ركَبهم ، واضطربت نفوسُهم ، وارتعدت فرائصهم؟ إنهم لا يملكون إلا النظر بأعين ذليلة ، وقد علاهم الخزْى والحسرةُ ، مع أنهم كانوا يُدْعوْن إلى السجود والصلاة ، وأداء فروض الإسلام ، وهم سالمون خالون من أى مانع ، فيُعرضُون أنفة واستكباراً .

٥ — ثم أراد الله أن يهون على رسولِه أمرَ هؤلاء الكفار ، حتى لا يحزن ، أو يضيق صدره بما يقولون ، فقال له : اتركنى وهؤلاء القوم الذين يُكذّبونك ، فأنا أجازيهم ، وأنتقم منهم ، وأكفيك شرهم ، وسآخذهم على غِرّة من حيث لا يعلمون ، وإذا كنتُ أمهلُهم ولا أعاجلهم بالعقوبة ، فإنّ

أمامهم يوم القيامة عذاباً شديداً؛ وبيّن اللهُ أن أمر هؤلاء الكفار عجيبٌ، فهم يعرفون أنك على حقّ ، ولكنهم يستكبرون عن اتباعِك ، مع أنك لم تطلب منهم أجراً على هدايتهم إلى الحق ، ودعوتهم إلى الإيمان ، فيُثقلهم ما يبذلونه لك من المال ، وهم ينتفعون بمتابعتك لوأطاعوك ، بما أعدّ للطائعين يوم القيامة من النعيم المقيم ؛ فإذا كانوا يعلمون أنك لا تتقاضاهم أجرة تبهظهم على دعوتك ، فلم هذا العناد ؟ هل اطلعوا على الغيب ، فهم ينقلون عنه ما ينجيهم من العذاب ؟ أم اتخذوا عند الرحمن عهداً ، يضمن لهم الفوز ودخول الجنة ، مع المتقين الصالحين ؟

(٤)

من الآية ٤٨ من سورة القلم ، إلى آخر السورة

فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ
كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ
مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ
الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا
الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
صاحب الحوت	يونس أحد الأنبياء .
نادى	دعا ربه .
مكظومٌ	مملوء غمًّا وغيظاً .
تداركه	أدركته .
نعمةٌ	رحمة .
نبذَ	طُرح .
العراء	الأرض الخالية .
اجتباهُ	اختاره نبيًّا .

الألفاظ	شرحها
يُزلقونك	يجعلونك تنزلق وتسقط .
الذّكر	القرآن .
ذكرٌ	وعظ .
العالمين	جميع المخلوقات .

قصة صاحب الحوت

ملخص قصة يونس بن مَتَّى عليه السلام ، أن الله أرسله إلى قوم نِينَوَى ؛ وهى من بلاد الموصل بالعراق ، وهم مائة ألف أو يزيدون ، وكانوا يعبدون الأصنام ، فلم يستجيبوا لدعوته ، فغضب بعد أن بَرم بطول دعوتهم ، وشدة شكيمتهم ، وتمادى إصرارهم على الكفر ، وكان حديث عهد بالنبوة ، لم يتدرب بعد على مشاقها ، وتركهم معتقداً أن الله لا يؤاخذه على ما فعل ، وظل سائراً حتى أتى إلى شاطئ البحر الأبيض المتوسط ، فركب سفينة اكتظت بحملها وركابها ، وكادت تغرق ، فألقى ركابها أحمالها ، فظلت مثقلة بمن عليها ، ورأوا أن يخففوا عنها بإلقاء بعض الركاب فى البحر ، رغبة فى نجاة سائرهم ، فاقترعوا ، فأصابت القرعة يونس ، فالتقمه حوت كبير ، فألهم الله الحوت ألا يصيب يونس بأذى ، فمكث يونس فى بطن الحوت سجيناً نحو ثلاثة أيام ، وهو عاكف على تسبيح الله وعبادته ، ثم رفع صوته وهو فى ظلمة جوف الحوت قائلا : « لا إله إلا أنت ، سبحانك ! إنى كنت من الظالمين » ، فلبى الله دعوته وقبل توبته ، وألهم الحوت أن يطرح يونس من جوفه فى أرض فضاء ، ثم رجع إلى قومه الذين فارقهم مغاضبة ، فآمنوا به .

مجمل المعنى

١ — بعد أن بيَّن الله ما بيَّن من شدة عناد الكفار ، واستهزائهم بدعوة الرسول — أمرَه الله أن يصبر على ما كلفه إياه ، من الاستمرار على تبليغ الرسالة ، غير مبال بما يصيبه من عنت ومشقة ، وألا يكون حاله فى ضيق الصدر ، والغضب مما يلاقى ، كحال يونس عليه السلام ، حين دعا قومه إلى عبادة الله ، وكانوا يعبدون الأصنام ، فأبوا ، فغضبَ وذهب إلى البحر ، فابتلعه حوت ، فدعا ربه وهو محبوس فى بطن الحوت ، وقد استولى عليه اليأس والغم ، أن ينقذه مما هو فيه من البلاء ؛ ولولا أن أدركت يونس بعد توبته رحمةُ ربه لقذفه الحوت فى البحـــر ، لاساتر فيها ، وبقى مُستحقًّا للوم المولى جل وعلا ، على ما كان منه من مخالفة أمر ربه إليه ، بالصبر على أذى قومه ، لكنه اعتذر عن ذنبه ، فأخرجه الله سليما ، وعفا عنه ، واصطفاه وجعله من الأنبياء المرسلين ، العاملين بما أمرهم به ، المنتهين عما نهاهم عنه .

٢ — ثم أخبر اللهُ الرسولَ أن الكفار يحدِّقون النظر فيه ، بعين العداوة والبغضاء والحسد ، حينما يسمعون منه القرآن ، حتى يكادوا يُزلقونه ويزلّون قدمه ، من إدامة النظر إليه ، ويقولون عنه حسداً على ما اختصه الله به من الرسالة : إنه لمجنون ، وما قرآنه هذا إلا هذيانٌ يهذى به فى جنونه ، فرد الله عليهم بأن القرآن وحى منزلٌ من عند الله ، ليس بهذيان كما تدعون ، وإنما هو موعظةٌ وذكرى للناس أجمعين .

سورة الحاقّة

نزلت بمكة ، وآياتها ٥٢ آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية ١٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ
بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا
بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا
فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُمْ
مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾
فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ
حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١٢﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها .
الحاقة	القيامة المتحققة الوقوع .
ما الحاقةُ ؟	أى شىء هى؟ .
وما أدراك	أى شىء أعلمك بها ؟
القارعةُ	القيامة .
الطاغيةُ	الصاعقة الشديدة الوقع .
صرصر	شديدة البرد والصوت .
عاتية	بالغة الغاية فى الشدة .
سخرها عليهم	سلطها عليهم .
حسوما	متتابعة مستأصلة ، وهى جمع حاسم ، كشهود جمع شاهد .
صرعى	موتى مطروحين على الأرض .
أعجاز	أصول ، وجذوع ، جمع : عجُز .
خاوية	خالية ، فارغة الجوف ، ساقطة .
باقية	بقية .
جاء فرعونُ	أتى وفعل .
المؤتفكات	مدن قوم لوط التى انقلبت على أهلها ، فصار عاليها سافلها .
بالخاطئة	بالأفعال الخاطئة .
رابية	زائدة فى الشدة .
طغى الماء	زاد وتجاوز حده .

الألفاظ	شرحها
الجارية	سفينة نوح .
تذكرة	عظة وعبرة .
تعيها	تحفظها .
واعية	حافظة .

مجمل المعنى

١ — أراد اللهُ سبحانه وتعالى أن يبيِّن لكفار قريش الذين قاوموا دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام ، أهوالَ يوم القيامة ، حيث يُعاقب العصاة المكذبون ، وما آل إليه أمرُ أمثالهم من الكفار الذين استكبروا ولجُّوا فى عنادهم ، حين دعاهم الرّسلُ إلى عبادة الله وحده ، ونبذ عبادة الأصنام ، فذكرَ أن يوم القيامة آت لا ريب فيه ، وأنه متحقق الوقوع ، لأنه يحق فيه ويثبت ما أنكره الكفارُ من البعث والحساب والجزاء .

٢ — ثم بيَّن أنها لشدة هولها ، لا يستطيع أحدٌ دراية حقيقتها ، ولا يحيط علمه بها ، وبعد أن نفى الشك فى وقوعها ، وبيَّن أنها القارعة ، التى تقرع الناس بضروب من الفزع عند وقوعها — ذكر بعض أخبار الأمم التى أنكرت وقوعها .

٣ — فمنها ثمودُ وعادٌ ، وهما قبيلتان عربيتان من قبائل العرب البائدة ، سكنت أولاهما بلاد الحِجْر فى شمالى الحجاز ، حيث مدائن صالح ، ذات

البيوت المنحوتة فى الجبال ، وسكنت الأخرى الأحقاف من بلاد اليمن ، فى جنوبىّ جزيرة العرب ، فأما ثمود فقد أهلكها اللهُ بصاعقة زلزلت مساكنهم ومصانعهم ، لما كذبوا رسولَ الله صالحاً ، وعقروا ناقته ! وأما عادٌ فإنهم لمّا استكبروا فى الأرض بغير الحق ، وقالوا : من أشدّ منا قوة ؟ سلط اللهُ عليهم ريحاً باردة عاصفة ، تتابعت سبع ليال وثمانية أيام — وهى الأيام المعروفة ببرد العجوز — فهلكوا ، وصاروا مطروحين على الأرض ، كما تُطرح النخلة المنقلعة من أصلها ، الساقطة من منبتها ، الفارغة من جوفها ، فاستؤصلوا ، وقطع اللهُ دابرهم ، ولم يُبق منهم أحداً ، وأصبحوا لا يُرَى إلا مساكنهم .

٤ — ولما فعل فرعون وقومه ومن كان قبله من الأمم التى سبقته ما فعلوا من الأفعال الخاطئة ، وكذبوا رسلهم — أخذهم الله بذنوبهم أخذ عزيز مقتدر .

٥ — ولما فاض ماء الطوفان فى عهد نوح عليه السلام ، حملنا آباءكم يا معشر قريش ، المقاومين لدعوة محمد ، فى السفينة ، لنجعلَ نجاةَ المؤمنين وإغراق الكافرين ، عظة وعبرة ، يرويها الخلفُ عن السلف ، فيحفظها ويعتبر بها .

(٢)

من الآية ١٣ إلى الآية ٢٤ من سورة الحاقة

فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا
دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ
فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ
فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾
فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي
ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ
عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ
الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
نُفخ فى الصور	أعلم الناس بيوم القيامة ، والصور : البوق .
نفخة واحدة	نفخة أولى عند انتهاء العالم ، تليها أخرى عندالبعث.
حُملت الأرض والجبال	اضطربت ورفعت من موضعها .

الألفاظ	شرحها
دُكتا دكةً واحدة	ضُرب بعضها فى بعض ، وصارتا كتلة واحدة .
وقعت الواقعةُ	قامت القيامة .
انشقت السماء	اختل نظام الكواكب .
واهيةٌ	ضعيفة مختلة .
الملكُ	الملائكة .
أرجائها	نواحيها ، مُفردها : رجا .
عرْش ربك	الأصل فيه : سرير ربك ، والمراد : بيان عظمة ذى الجلال .
ثمانيةٌ	ثمانية من الملائكة .
تُعرضونَ	تقفون بين يدى الله للحساب .
خافيةٌ	أية حالة كنتم تحاولون سترها .
أوتي كتابه بيمينه	أعطي صحيفة أعماله بيمينه .
هاؤمُ	خذوا .
ظننتُ	علمت وتيقنت .
راضية	راض صاحبها .
أسلفتم	قدمتم .
الأيام الخالية	الأيام الماضية فى الدنيا .

مجمل المعنى

١ — أراد اللهُ أن يصوّرَ أحوالَ يوم القيامة ، وما أعد فيها للطائعين والعاصين ؛ والنفخُ فى الصور : تمثيل وتصوير لبعث الأموات من قبورهم ، وعرضهم للحساب ، واستجابتهم للدعوة بسرعة ، وقد صاح بهم بوق عظيم ، كما يستجيب الجنود ، فيهبون من نومهم ، حين ينفخ أحد الجنود فى بوقه نفخة تسمى نوبة الاستيقاظ ، أو أن الله يأمرُ إسرافيلَ أن ينفخ فى البوق ، فإذا الأرض والجبال يعمها الاضطراب والاختلالُ ؛ فأما الأرض فتمور موراً ، وتتزلزلُ جوانبها ، وتتحركُ فى غير نظام ، وأما الجبالُ فتندكّ وتنسف ، حتى تصير كثيباً مَهيلا ، ويكون هذا إشعاراً بقيام الساعة ، ويختل نظامُ السماء ، ويضعف ما بين كواكبها من تجاذب وتماسك ، فتتساقط ، وحينئذ تفزع الملائكة الذين لم تعد السماء بعد تصدعها واختلالها دار أمن لهم ، فينتشرون فى الأرجاء ، ويكون مثلهم حينئذ مثلَ سكان البيت الذى قد انهار بعضه ، فيفزع سكانه ، ويجتمعون فيما بقى منه ، ليشاهدوا ما يكون من أمره ، وينظروا ما يكون من أمرهم .

٢ — ثم يعرض الله الخلائق لمحاسبتهم ، وفى تصوير عرش الله يحمله ثمانية من الملائكة ، تبيان لعظمة ذى الجلال ، وتفرده بالعزة يوم القيامة ، وتقريبٌ لعقول الناس ، الذين ألفوا مظاهر العظمة والجلالة فى عروش الملوك ؛

ويجوز أن يكون المرادُ بالعرش: النفوذ والسلطان ، أى أن أوامر الله يحملها ثمانية من الملائكة إلى عباده .

٣ ــ فأما من كانت صحيفة أعماله فى الدنيا تدلّ على رُجحان حسناته على سيئاته ، فإنه يُحاسبُ حساباً يسيراً ، ويغتبط ويبتهجُ بما كتب فيها ، ويعرضها على الخلائق ليقرؤها ، قائلا : إنى علمت وتحققت فى الدنيا ، أنى سأحاسب ، فأعددت نفسى لملاقاة هذا اليوم ، بما قدمته من عمل صالح ؛ وحينئذ ينال مرتبة عالية ، ويحيا حياة مرضية فى الجنة الرفيعة الشأن ، الدانية الثمار ، يتناولها من يريدها : قائماً أو جالساً أو مضطجعاً ، ويقال له ولأمثاله : ها هى ذى الجنة التى أعدت للمتقين مباحة لكم ، فكلوا هنيئاً ، واشربوا مريئاً ، جزاء ما قدمتم من الأعمال الصالحة فى أيامكم الماضية فى الدنيا .

(٣)

من الآية ٢٥ إلى الآية ٣٧ من سورة الحاقة

وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ
كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾
مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾
ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾
إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ
الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ
غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
لم أوت	لم أُعط .
لم أدر	ليتنى لم أعلم .
ليتها	ليت الموتة التى حدثت فى الدنيا .
القاضية	القاطعة الحاسمة فلم أبعث .
ما أغنى عنى ماليه	لم ينفعني الذى ملكت .

الألفاظ	شرحها
هلك عنى سلطانيه	ذهب عني نفوذي .
خذوه	أمر من الله للملائكة .
فغلوه	فضعوه فى الغُل ، وهو حديدة تجمع يدي العاصي إلى عنقه .
صلُّوه	ألقوه فى النار يصلاها ، أي يحترق بها .
ذرعها	طولها بالذراع .
اسلكوه	أدخلوه .
لا يحضُّ	لا يحثّ غيره .
حميمٌ	قريبٌ أو صديق يدافع عنه .
غِسلين	ما يسيل من أهل جهنم من قيح أو صديد أو دم .
الخاطئون	الآثمون .

مجمل المعنى

١ — بيَّن اللهُ هنا حال العصاة المتمردين ، من الغم والحسرة وسوء المآل ، فذكر ما يحدث يومَ العرض من سُخطه على العصاة ، بتناولهم صُحف أعمالهم بشمالهم ، وهو كناية عن حبوط أعمالهم ، وإعلانهم بسوء مصيرهم ، واستحقاقهم للعقوبة على ما اقترفوا من الآثام ، فهم لفرط حسرتهم ، وكآبتهم مما دُوِّنَ فى هذه الصحائف ، يتمنون أن لو أسدل الستار على مخازيهم ومساوئهم ، وأنهم لم يخلقوا ، ولم يُبعثوا من قبورهم ، ويدركون

حينئذ أنه لا يعصمهم من عقاب الله مالٌ ، ولا جاهٌ ، ولا أتباعٌ ، ولا سلطانٌ ؛ ثم يأمر اللهُ زبانية النار أن يأخذوا كل واحد من هؤلاء ، فيضعوا الغلّ فى عنقه ، ثم يلقوه فى النار ، وإمعاناً فى إذلاله ، عقاباً له على تكبره فى الدنيا ، يأمرهم بأن يدخلوه بين سلسلة طويلة جداً .

٢ — يعذب اللهُ بهذا العذاب كل عاص متجبر متكبر ، لأنه كان لا يؤمن بالله العظيم ، ولا يحث على بذل الطعام للفقراء والمعوزين ، وإذا كان الذى لا يحث على البذل مستحقاً للعقاب ، فالممتنع عن بذله مع القدرة عليه أكثرُ استحقاقاً ! ثم بيّن اللهُ أن هؤلاء العصاة لا يجدون وهم يقاسون هذه الأهوال ، قريباً ولا صديقاً يحميهم من العذاب ، وأنهم يُكرَهون على تناول طعام قذر ، تعافه النفوس ، وتشمئز منه ، لما ارتكبوه من الخطايا والذنوب فى الدنيا .

(٤)

من ٣٨ من سورة الحاقة إلى آخر السورة

فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾
وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ
قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ
مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ
بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾
وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ
عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
لا أقسمُ	أقسم أنه ليس الأمر كما تقولونه أيها الكفار على محمد ، ولا : زائدة .
إنه	إن القرآن .

الألفاظ	شرحها
قليلا ما تؤمنون	المراد بقلة الإيمان هنا : نفيه عنهم .
كاهن	من يدّعى علم الغيب .
قليلا ما تذكرون	ما هنا : زائدة .
تقوّل	افترى واختلق .
الأقاويل	جمع أقوال ، التى هى جمع قول ، وأكثر استعمالها فى الأكاذيب .
اليمين	اليد اليمنى ، والمراد : تمكنّا منه .
الوتينَ	الشريان الواصل بين القلب والرأس ، إذا قطعَ مات صاحبه .
من أحد	من هنا : زائدة ، وأحد مفرد يراد به جمع .
عنه	عن النبى صلى الله عليه وسلم .
حاجزين	دافعين وحامين .
مكذبين	لا يصدقون بالقرآن الكريم .
حسرةٌ	غم وحزن .
حق اليقين	حق لا شك فيه .
سبح باسم ربك	نزه الله عما لا يليق به .

مجمل المعنى

١ — يؤنبُ الله كفارَ قريش على تكذيبهم الرسول ، ويدحض مُفترياتهم ، فأقسم بالمخلوقات من مرئىٍّ وغير مرئى ، أن هذا القرآن كلامُ رسول أمين ، يُبلغه عن ربه إلى العرب بلسانهم ، وليس هو كما تزعمون أيها الكفار

قولَ شاعر ، لأنه فى أسلوبه ومعانيه وَمبانيه ، مُباينٌ للشعر ، ولكنكم لعنادكم وحسدكم للرسول لا تصدقون ، وليس هو كما تدّعون قول كاهن ، لأن الكهان يُخطئون ويصيبون ، وأساليبهم غَثة ركيكة ، لما فيها من سجع متكلف ، ولكنكم تنسون ما اشتمل عليه القرآن من الأسلوب المتين ، والمعنى الرائع ، والخبر الصادق ؛ ولا غرو ! فهو كلامُ الله سبحانه وتعالى ، الذى نزل به جبريل الأمين ، على رسوله الكريم ، فلا معنى لما تتقولون .

٢ — ثم بيّن اللهُ سبحانه وتعالى أن محمداً صلى الله عليه وسلم لو افترى على الله القرآن ، وادعى فيه ما لم يتلقه عن الوحى — لنكلَ به أفظع تنكيل ، وانتقم منه شر انتقام : بأن يأخذ بيده حتى يمنعه من الحركة ، ثم يقطع عنقه ، وهذا تصويرٌ لأفظع ما يفعله الملوكُ بمن يقبضون عليه ، فيأخذ القاتلُ بيد المقتول ليشل حركته ، ثم يضربه بالسيف ، وهو يراه بعينه ، وهذا هو القتل صبراً ، وفيه من الهول ما فيه ، ثم ذكر أنهُ لا يستطيعُ أحدٌ أن يدافع عن الرسول إن فعل هذا ، أو يحولَ دون إنفاذ مشيئة الله فيه .

٣ — لقد ثبت أن القرآن وَحىٌ من عند الله ، لم يَتقوله محمدٌ ، وقد أنزلناه ليكون موعظة وهدى لمن خاف مقام ربه ، ونهى النفس عن الهوى ، ونحن لا يخفى علينا أن فى قريش قوماً حرَصوا على تكذيب الرسول فى كل ما يبلغه عنا ، وسيعلمون حين يرون ثواب المؤمنين ، وعذاب الكافرين ،

سيعلمون أنه الحق الواضح ، واليقين الذى لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه .

٤ — ثم أمر اللهُ الرسول أن ينزهه عن كل ما لا ينبغى أن يُوصفَ به ، شُكراً على ما أوحى به إليه ، وتنزيهاً له عما يصفه به المشركون ، وأن يَثبت على تبليغ رسالته بتسبيح الله ، وشكره على اختصاصه بكرامة النبوة ، وعلوّ المرتبة .

سورة المعارج

نزلت بمكة، وآياتها ٤٤ آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية ١٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ اللَّهِ
ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ
خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾
وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ
﴿٩﴾ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ
عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي
تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً
لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
سأل سائلٌ	طلب طالب .
واقع للكافرين	نازل بهم .
دافع	واق مانع .
المعارج	الدرجات فى العلو والرفعة .
تعرج الملائكةُ	تتلقى أوامره ونواهيه .
الرّوح	جبريل .
يرونه	يرون العذاب يوم القيامة .
قريباً	محقق الحصول .
المهل	الدّردى ، وما عكرَ من كل شىء .
العهن	الصوف .
حميمٌ	قريب أو صديق .
يبصرونهم	يُقدرهم الله على أن يبصر بعضهم بعضاً .
المجرمُ	الكافر .
صاحبته	زوجته .
فصيلته	عشيرته .
تؤويه	تضمه فى الأنتساب إليها .
ينجيه	يفديه ويخلصه .
كلاَّ	ردّ لما يودّه الكافر .
لظى	جهنم الملتهبة .
الشوى	محاسن الوجه والأطراف .

الألفاظ	شرحها
تدعو	تنادي .
أدبر وتولى	أعرض عن الإيمان .
جمع	جمع المال .
أوعى	أمسكه عن الإنفاق ، كأنه جعله فى وعاء .

مجمل المعنى

١ — كان الكفارُ يسخرون من النبي صلى الله عليه وسلم ، ويستخفّون بما كان يتوعدهم من العذاب فى الآخرة ، ويسألون استهزاءً عن وقته ! وقد حكى الله عنهم فى افتتاح هذه السورة ما طلبه النضر بن الحارث ، أحد كفار قريش ، فقد سأل عن العذاب الذى أخبر الرسول بأنه واقع بالكفار لا محالة ، فأجاب الله بأن هذا العذاب مُهَيَّأٌ للكافرين ، لا يقيهم منه واق ، وستكون مشيئة الله فى تعذيبهم نافذة لا محالة ، وسيلقون هذا العذاب يومَ القيامة من الله الرفيع الدرجات ، الذى يرفع جبريل ومن معه من الملائكة إليه أمر الخلائق ، وما تدل عليه صحائف أعمالهم ، وينفذون قضاء الله فيهم ، وسيكون عذابُ هؤلاء الكفار فى وقت يطول أمده عليهم ، حتى يحسبوه لشدة ما يلقون خمسين ألف سنة ، فمثلهم كمثل المريض المتألم ، الذي يعد الساعة دهراً ؛ فليس المراد بالخمسين ألفاً تحديد عدد السنين ، وإنما المراد : وصف هذا اليوم بالطول .

٢ — ثم أمر الله رسوله أن يصبر على عناد الكفار صبراً لا يشوبهُ ضجر ، ولا استبطاء للنصر عليهم ، وبين أن هؤلاء الكفار المستبعدين ليوم

الحساب ، حيث يَصْلَوْن فيه نار جهنم ، إن كانوا يرونه بعيد الإمكان لعدم تصديقهم به ، فالله جَلَّت عظمته يعلم أنه واقعٌ مُحققُ الحصول ألبته ، وذلك يومَ تُبدل الأرض غير الأرض والسموات ، فيكون لون السماء مُغبرًّا أو أحمر ضارباً إلى السواد ، كلون الزيت العكر ، وتتناثرُ الجبال حتى تصير هباء ، كالصوف المنفوش ، وحينئذ تضطرب الخلائق ، ويشتغل كلّ بنفسه ، من شدة الهول والفزع ، فينكر بعضهم بعضاً ، ويتلمس كلّ منهم طريق الخلاص لنفسه ، وينحصر همه فى شخصه ، فلا يهتم الصديقُ أو القريبُ بحال غيره ، مع كونه يبصره ويعرف من هو ، وليس ثمة حوائل تحول بينهما ، ولكن اهتمام كل امرئ بنفسه ، يصرفه عن النظر فى شأن غيره .

٣ — فى هذا الوقت العصيب الذى يشتد فيه الهولُ ، ويعرف كل أنه سيحاسب على ما قدمت يداه ، يود الكافر لو قدم أعز الناس عليه من بنيه ، أو أخيه ، أو زوجته ، أو عشيرته ، بل كل من فى الأرض من المخلوقات فداء له ، ينجيه من الكرب الذى هو فيه .

٤ — لكن كل هذا لا يجديه نفعاً ، ويقال لهؤلاء الكفار : دَعوا هذه الأمانىّ الكاذبة ، وذوقوا عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الأرض بغير الحق ، وبما كنتم تفسقون ، فها هى ذي جهنم الملتهبة تُشوه خلقتكم ، وتشوي أجسامكم ، وتنتزع أيديكم وأرجلكم ، ثم تُعاوِدُ التنكيل بكم ، وهى تنادى بلسان حالها كل من أعرض منكم عن الإيمان فى الدنيا ، واستهزأ بدعوة رسولى إليكم ، وجعل همه جمع المال وادخاره ، ليصطلي الآن بنارها ، ويقاسي حرها ، جزاء إعراضه وتكذيبه .

(٢)

من الآية ١٩ إلى الآية ٣٥ من سورة المعارج

إِنَّ الْإِنسَٰنَ
خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾
إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ
حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ
﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ
مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾
وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾
أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
هلوعاً	شديد الضَّجَر .
الشرُّ	الضرر .
جزوعا	قليل الصبر .

الألفاظ	شرحها
مَنوعاً	شديد البخل .
السائل	المستجدى .
المحروم	المحتاج المتعفف عن السؤال .
يوم الدين	يوم الجزاء ، يوم القيامة .
مشفقون	خائفون عاقبة أمرهم .
غير مأمون	غير مضمون دفعه .
لفروجهم حافظون	ملازمون للعفة .
ما ملكت أيمانهم	ما ملكوا من الإماء والجوارى .
ابتغى وراء ذلك	تجاوز الحلال إلى الحرام .
العادون	المعتدون .
لأماناتهم	ما اؤتُمنوا عليه من حقوق العباد .
عهدهم	مواثيقهم .
رَاعون	حافظون .
بشهاداتهم قائمون	يؤدون الشهادة على وجهها ، ولا ينكرونها .
فى جناتٍ مُكرَمون	يدخلون دار الكرامة ، وهى الجنة .

مجمل المعنى

بيَّن الله ما جُبِلَ عليه كثير من الناس منذ الخليقة ، وكان سبباً فى كثير من الشقاء الذى أصابهم ، فذكر أن الإنسان خُلق منذ نشأته شديد الضجر ، قليل الوفاء ، فهو إذا ألمَّ به مكروهٌ : من فقر ، أو مرض ، أو خوف ، استولى عليه اليأسُ والقنوط ، وإذا تيسر له العيش الرغيد ، واتسع رزقُه ، وصحَّ

جسمه ، وَصار نافذ الكلمة ذا جاه ومنصب ، تنكَّر للناس ، فمنَعهم رفْده ، وحرمهم الانتفاع بما خوله الله إياه ! ولو كان الناسُ كلهم على غرار هذا الإنسان ، لامَّحت الألفة والمودةُ ، وحلت محلها العداوة والبغضاء ، ولكن اقتضت حكمة الله أن يكون لطيفاً بعباده ، فخلق فى كثير منهم مواهب سامية ، تبعدهم من هذا الخلق الذميم ، وهم أصناف :

(ا) المصلون المواظبون على صلواتهم ، فهم ، فى استعدادهم لقضائها ، وقيامهم على أدائها ، ينصرفون فى أغلب أحوالهم عن متاع الدنيا وزخارفها ، ويتفرغون بقلوبهم للزلفى إلى المولى القدير ، فيرضون بقضائه ، ويعرفون أن كل خير أو شر بتقديره ، فلا يجزعون إذا أصابهم شرٌّ ، ولا يمنعون إذا وصل إليهم خير .

(ب) والموسرون الذين يجعلون فى أموالهم قدراً معيَّناً ينفقونه على المعوزين ، سواء أكان زكاةً ، أم صدقة للفقير المحتاج العاجز الذى يستجدى ، أو المحروم الذى يكون فى أشد الحاجة ، ولكنه يأنف أن يتكفَّف الناس .

(جـ) والمؤمنون بيوم الحساب ، فيواظبون على الطاعات طمعاً فى المثوبة الأخروية ، ويطلبون من الله أن يهديهم الصراط المستقيم .

(د) والذين يخافون على أنفسهم عذاب الله يوم القيامة ، مع ما لهم من الأعمال الصالحة ، انتقاصاً لقدرها فى نظرهم ، واستعظاماً لرب العرش ، فهم « يؤتون ما آتوا ، وقلُوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون » ، ويرون أنهم لا يمكنهم القطع بأنهم أدوا واجباتهم كما ينبغي ، إذ ربما يكون قد حصل منهم تقصيرٌ لا يدركونه ، فلا يأمنون عذاب الله عليه .

(هـ) والمتعففون الذين يقتصرون على ما أحله الله لهم ، من الزّوجات والجوارى ؛ أما الذين يخضعُون لشهواتهم ، ويرتكبون ما حرمه الله ، ويتجاوزون الحلالَ إلى الحرام . فهم الذين تعدوا حدود الله ، وانقادُوا لنزوات النفس الأمارة بالسوء .

(و) والمحافظون على أماناتهم وعَهْدِهم ، فى أمر دينهم ودنياهم ، قولا وفعلا ، وهو عامّ فيما كان بين الإنسان وربه من عقائد وعبادات ، فإن الشرائع أمانات ائتمن الله عليها عبادَه ، وفيما كان بين الإنسان وغيره من بنى البشر ، فى معاملاته معهم ، من مواثيق ومواعيد ، وعقود ومعاملات ، فلا يجوز الإخلالُ بشىء من حقوقها ؛ ويدخل فى الأمانات الودائعُ المتنوعة .

(ز) والذين يؤدون الشهادة على وجهها ، سواء أكانت على قريب أم بعيد ، صديق أم عدوّ ، فلا يكْتُمُونها ولا يُغَيِّرونها ، لاعتقادهم أن من يكتمها فإنه آثِمٌ قلبه .

(ح) والذين يحافظون على صلواتهم بإحسان الوضوء لها ، والمبادرة إلى إقامتها فى أوقاتها ، وأداء أركانها وسننها .

هؤلاء الأصنافُ الثمانية ، يجازيهم الله يوم القيامة على أعمالهم ، بإدخالهم دار الكرامة ، التى حسنت مُسْتَقَرًّا ومُقاما .

(٣)

من الآية ٣٦ من سورة المعارج إلى آخر السورة

فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾
عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ
نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا ۖ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ
إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ
يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ
مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَاشِعَةً
أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
قِبَلَكَ	نحوك وجهتك .
مُهْطِعِينَ	مسرعين ، مُديمي النظر إليك .
عِزِين	جماعات ، جمع عِزَه .

الألفاظ	شرحها
كلاَّ	ليس الأمر كما زعموا .
مما يعلمون	من شيء حقير ، وهو النطفة .
لا أقسم	لا هنا : زائدة .
المشارق والمغارب	مشارق الكواكب ومغاربها .
نُبدل خيراً منهم	نأتى بدلهم بخير منهم .
بمسبوقين	بمغلوبين ، أو بعاجزين .
ذَرْهم	اتركهم .
يخُوضوا	يتحادثوا فى الباطل .
الأجداث	القبور .
نُصُب	شيء منصوب للعبادة .
يُوفضون	يُسرعون .
خاشعة	ذليلة .
ترهقهم	تلحقهم وتغشاهم .
ذلك اليوم	ذلك يوم القيامة .

مجمل المعنى

١ — عجباً لهؤلاء الكفار المكذبين المعاندين ، يسرعون إلى مجالسك جماعات ، شاخصين إليك ، متزاحمين حوالَيْك ، عن يمينك وشمالك ، ليعيبوك ويسخروا منك ! فما شأنهم بمجالساك يا محمد ؟ فهل يطمع طامعٌ منهم أن ينعم بدخول الجنة ، وهو لم يسع لها سعيها ؟ بل كانوا كلما سمعوا ما أعد الله للمؤمنين من صنوف النعيم ، يهزُّون رءوسهم استهزاء به ، ويقولون : لئن دخل أصحاب محمد الجنة ، لندخلنها قبلهم .

٢ — لن يطمع أحد منهم أن ينعم بالجنة ، بل لن يستطيع أحدٌ منهم أن يُفدْلت من العذاب ، وسيعرف حقيقةَ أمره يوم القيامة ؛ فلا يُطغيه جاهٌ أو مالٌ ، وهو يعلم أنا خلقناه من ماء حقير ، ثم جعلنا هذا الماء عَلَقَةً ، ثم جعلنا العلقة مضغة ، فليس لهم فضلٌ يستحقون به دخول الجنة ، وإنما يطمع فى الجنة المؤمنون الصالحون ، وليس للمكبِّين على الكفر والفسوق والعصيان إلا جهنم ، وبئس المصير ! .

٣ — ثم أقسم جل شأنه بمالك الملك ، ومسيِّر الكواكب فى أفلاكها ، أن القادر على أن يجعل من النطفة إنساناً ، قادرٌ على أن يهلك الكفرة ، عقاباً لهم على كفرهم ، ويأتى بعدهم بخلق آخر ليسوا على شاكلتهم ، وأنه إذا اقتضت مشيئته ذلك ، فلن يعجز عنه ، ولن يغلبه غالب .

٤ — ثم أمر الله رسوله عليه الصلاة والسلام بالثبات والصبر ، وأن يدعهم يتحدثون ما طاب لهم الحديث ، فى الباطل والكذب ، وأن يتركهم يلعبون فى دنياهم كما يشاؤون ، وأن يخلِّيهم وشأنهم ، ويشتغل بما أمِرَ به ، وألا يضيق صدره بكفرهم ، حتى يَلقَوْا يومهم الذى توعدهم اللهُ بالعذاب فيه ، فيومئذ يعلمون أنهم كانوا على باطل ، يوم يخرجون من قبورهم مسرعين إلى موقف العرض والحساب ، كإسراعهم فى الدنيا حين كانوا يخرجون من مساكنهم أيام أعيادهم ومواسمهم ، إلى حيث نصبوا أصنامهم ، ليقدموا إليها قرابينهم ؛ فى ذلك اليوم : يوم العرض والحساب ، تكون رؤوسهم منكَّسة ، وأبصارهم ذليلةً كليلةً ، لما يتوقعونه من عذاب الله ، وعلى وجوههم مظاهر الذِّلة والمهانة ، ويقال لهم : هذا هو اليومُ الذى تَوعَّدُكم به الرسولُ فى الدنيا ، فكذبتموه وآذيتُموهُ ، ها هو ذا قد تَحقَّقَ . فذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذِّبون .

سورة نوح

نزلت بمكة ، وآياتها ٢٨ آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية السابعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ۝ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۝ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ
وَأَطِيعُونِ ۝ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ۚ إِنَّ
أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ
قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝ وَإِنِّي كُلَّمَا
دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ
وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝

شَرْحُ الأَلْفَاظ

الألفاظ	شرحها
أنذر قومك	حذّرْهمْ عاقبة كفرهم .
عذابٌ أليمٌ	عذاب مؤلم .
نذير	مُبلغٌ ومحذّرٌ ومخوف .
مبين	موضح رسالتي لكم .
اتقوه	اجعلوا إيمانكم وقايةً لكم من عذابه .
من ذنوبكم	ما سلف من ذنوبكم قبل الإيمان .
أجل مسمى	وقت قدره الله .
جاء	جاء وقته .
لا يؤخرُ	ينفذ طبقاً لمشيئة الله .
لو كنتم تعلمون	ليتكم تستعملون عقولكم .
ليلا ونهاراً	فى جميع الأوقات .
فراراً	هرباً مني ، وإعراضاً عن الإيمان والطاعة .
جعلوا أصابعهم فى آذانهم	سدوا آذانهم حتى لا يسمعوا قولي .
استغشوا ثيابهم	غطوا رؤوسهم بثيابهم حتى لا يروني .
أصروا	ثبتوا على الكفر ، وعولوا على التمادى فيه .
استكبروا	تكبروا عن اتباعي .

مجمل المعنى

١ — بين الله فى هذه السورة ما وقع لسيدنا نوح مع قومه ، ليتأسى النبى صلى الله عليه وسلم بما وقع للأنبياء من قبله ، فيصبر على أذى قومه ، وعنادهم ؛ فذكر أنه أرسل نوحاً إلى قومه ، وكانوا يعبدون الأصنام ، وأنه كلفه أن

يحذرهم عاقبة كفرهم ، من قبل أن يحل بهم عذابُ الله الشديد .

٢ — فقال لهم نوح : يا قوم ، إني رسولُ الله إليكم ، أرسلني إليكم لأطلبَ منكم أن تعبدوا الله وحده ، وتتقوه ، وتطيعوني ، ليغفر لكم ما تقدمَ من ذنوبكم قبل إيمانكم ، ويؤخر عذابكم الذى توعدكم به ، فيُطيل بقاءكم إلى أقصى أجل قدّرَه لكم ؛ يريد أنّ اللهَ قدرَ زمناً لهلاكهم إن أصروا على الكفر، كخمسين سنة مثلا ، وقدر زمناً آخر لموتهم إن آمنوا ، كمائة سنة مثلا ، وأن الوقت الذى قدره اللهُ إذا انقضى فى إحدى الحالتين لا يؤخرُ ، وود لو تدبروا فى أمورهم ، وفكروا فيما قاله لهم ، وعلموا ما يترتب على إيمانهم أو كفرهم من العواقب ، فسارعوا إلى الإيمان وأطاعوه .

٣ — ولكنهم مع هذا الأسلوب اللين ، والموعظة الحسنة ، لم يبالوا بدعوته ، فناجى ربه عارضاً شكواه ، مُظهراً أسفه ، مصوّراً ما جرى بينه وبين قومه أبلغ تصوير ، بعد ما بذل فى الدعوة كل جهد ، وتجاوز فى الإنذار كل حد ، قائلا : رب ، إنى دعوت قومى إلى الإيمان بوحدانيتك ، ونبذ عبادة الأصنام فى غير توان ولا فتور ، مستغرقاً فى الدعوة كل أوقاتى ، فلم يزدهم ما دعوتهم إليه من التوحيد ، إلا تمرداً وعصياناً ؛ وإنى كلما دعوتهم ، لتتجاوز عما سلف من سيئاتهم ، وضعوا أطراف أصابعهم فى آذانهم ، كراهة أن يستمعوا دعوتى ، وغطّوا رؤوسهم بثيابهم ، كراهة أن يروا وجهى ، وأصروا على إعراضهم ، وتكبروا عن اتباعي وطاعتي ، مُفرطين فى تعاظمهم ، مُغالين فى تمردهم .

(٢)

من الآية الثامنة إلى الآية العشرين من سورة نوح

ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ
إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ
كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ
وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ
وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ
طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ
أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ
جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
جهاراً	بأعلى صوتي .
استغفروا ربكم	اطلبوا منه الصفح عما فرط منكم .
السماء	المطر .

الألفاظ	شرحها
مدراراً	يتبع بعضه بعضاً .
يُمددكم	يعطكم ويُعِنكم .
جنات	بساتين .
ترجون	تخافون .
وقارا	توقيراً وتعظيما .
أطواراً	حالات مختلفة : نُطفة ، فعلقة ، فمضغة ، فعظاماً ولحماً .
سموات	ما ارتفع من الفضاء الذى تسبح فيه الكواكب فى مداراتها .
طباقاً	طبقات فى العلو والارتفاع ، بعضها فوق بعض .
فيهن	فِي السموات .
سراجاً	مثل السراج فى إزالة الظلمة .
أنبتكم	أنشأكم .
يُعيدكم فيها	يُقبركم فى الأرض بعد الموت .
يخرجكم	يبعثكم بعد الموت .
بساطا	كالبساط ، وقد بسطها الله للخلائق يتنقلون فيها .
لتسلكوا	لتقطعوا وتسيروا .
سُبلا	طرقاً .
فجاجاً	جمع فج ، وأصله : الطريق الواسع بين الجبلين .

مجمل المعنى

١ — استمر نوح فى مناجاة ربه فقال : ربّ ، إنى لم أكتف بالنصح لهم فى مجالس خاصة ، بل دعوتهم مرةً بعد أخرى ، على وجوه مختلفة ، ووسائل متنوعة ، جاهرتهم بالدعوة تارة ، ثم جمعت بين الإعلان والإسرار تارة أخرى ، أعلنُ حين يَصلحُ الإعلانُ ، وأسر حين أتوقع نفع الإسرار ، فقلت لهم : استغفروا ربكم بالتوبة عن الكفر والمعاصي ، فإنه يقبلُ التوبة من عباده ، ويعفو عن السيئات ، فإن فعلتم ذلك يَسرَ لكم الرزق ، وعجل لكم الخير ، فينزل عليكم المطر الكثير الذى يُخصب أرضكم بعد جدبها ، ويكثر خيركم ، ويرزقكم أموالا تُنمى ثروتكم ، وبنين يشدون أزركم ، وبساتين تُرفه عيشكم ، وأنهاراً تروى أرضكم ، وبهذا يصلح شأنكم ، وينتظم أمركم ، وتتوافر سعادتكم وهناءتكم .

٢ — على أن نوحاً مع عناد قومه ، وتكذيبهم إياه ، أخذ يخاطبهم بأسلوب آخر ، يستدل به على وحدانية الله وقدرته ، ليحرك عواطفهم نحو المنعم القادر ، فقال لهم : ما لكم لا تخافون عظمة الله ، وقدرته على أخذكم بالعقوبة ؟ ولماذا لا تَرهبون جانبه ، فتصدقوا برسالتي ؟ فأي عذر لكم فى موقفكم هذا ، وأنتم ترون مظاهر قدرته فى أنفسكم ؟ فقد خلقكم على أحوال مختلفة ، فكنتم فى بطون أمهاتكم نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة ، ثم عظاماً ولحماً ، ثم صرتم بشراً سوياً . فتقصيركم عن تعظيمه والإيمان به ، لا يصدر من عاقل .

٣ — وبعد أن بين قدرة الله فى أنفسهم ، أراد أن يوجه أنظارهم إلى قدرة الله فى الآفاق ، فقال لهم : ألم تروا دلائل قدرة الله واضحة أمامكم ، فقد خلق الكواكب السبع السيارة بعضها فوق بعض ، وجعل القمرَ فى حيِّز إحدى الطبقات ، ينير لكم ليلا ، وجعل الشمس سراج النهار ، لتكشف عنكم ظلمة الليل ؛ وأنشأكم إنشاء من الأرض ، بأن خلق آدم من تراب ، وغذاكم من النبات المتولد من الأرض ، وجعل فيها أرزاقكم وأقواتكم ، ثم يعيدكم فيها بالدفن فى القبور بعد الموت ، ثم يبعثكم يوم البعث والحشر بعثاً لا ريب فيه ، للعرض والحساب ، والثواب والعقاب .

٤ — وقد خلق اللهُ لكم الأرض ممهدة سهلة ، تمشون عليها كأنكم تمشون على بساط فى منازلكم ، لتقطعوا منها طُرقاً واسعة سهلة ، لا تجدون مشقةً فى قطعها فى سبيل تحصيل رزقكم ، وبلوغ مآربكم .

(٣)

من الآية ٢١ من سورة نوح ، إلى آخر السورة

قَالَ

نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾
وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا
وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا
وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا
نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى
الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا
يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ
مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خساراً	واتبعوا رؤساءهم ، المعتزين بكثرة أموالهم وأولادهم ، الذين لا يزيدهم اعتزازهم بهم إلا وبالاً وضلالاً ، وغدراً ولؤماً .

الألفاظ	شرحها
مكروا	دبروا تدبيراً سيئاً .
كبّارا	عظيما جداً ، وهو : تكذيبهم نوحاً ، وإيذاؤه هو ومن معه .
لا تذرُن آلهتكم	لا تتركن أصنامكم
مما خطيئاتهم	أصلها : من ما ، وما : زائدة ، أى بسبب خطيئاتهم .
أغرقوا	أغرقهم الله بالطوفان .
ديّاراً	مقيما في أي دار .
فاجراً	مقيما على المعاصي والمحرمات .
لمن دخل بيتي	لأولادي وأزواجهم .
تباراً	هلاكاً .

مُجْمَلُ الْمَعْنَى

١ — لما لم تنجح دعوة سيدنا نوح إلى قومه ، بعد أن بين لهم الدلائل الواضحة على وحدانية الله وقدرته ، ولم يُثمر فيهم نصحٌ ولا موعظةٌ ، وانصرفوا عن سماع دعوته إلى سماع تغرير رؤسائهم وأغنيائهم ، الذين كانوا على جانب كبير من المال والولد ، ناجى ربه مبيناً استهتارهم به ، وعنادهم إياه ، فقال يشكو إلى ربه : رب ، إن قومي لم يبالوا دعوتي ، واتبعوا رؤساءهم وأثرياءهم ، الذين أبطرتهم نعمك عليهم ، من الأموال والأولاد ، فلم يشكروها ، بل اتخذوا من أموالهم وعصبيتهم قوة يقاومون بها دعوتي ، وتوسلوا بهذا إلى إضلال قومهم ، والتلاعب بعقولهم ، فازدادوا بذلك على كفرهم ضلالا على ضلال .

٢ — كما أن هؤلاء الرؤساء والأغنياء ، دبروا أسوأ تدبير ، وهو إيذائي أنا ومن اتبعني ، وقالوا لمن دونهم من أتباعهم : لا تتركن عبادة أصنامكم ، وبخاصة أعظمها شأناً ، وأعلاها منزلة ، وهى : وَدٌّ وسُوَاعُ ويغوثُ ويعوق ونسرٌ ، وقد أضل هؤلاء الرؤساء خلقاً كثيراً ، ضلالا لا رجاء بعده فى إيمان هؤلاء القوم ، بما توافر لديهم من الجاه والمال ؛ فأسألك يا رب ، ألا تزيد هؤلاء الطغاة إلا إمعاناً فى الضلال ، ليستحقوا شديد عذابك ، فإنهم هم الذين ظلموا أنفسهم ، بعدولهم عن الصراط المستقيم .

٣ — وهؤلاء الكفار ، من أجل خطيئاتهم بإصرارهم على الكفر ، على الرغم من نصحهم وإرشادهم ، أغرقهم الله بالطوفان ، وسيعاقبهم حتما بإدخالهم النار ؛ فلا يجدون لهم فيها أنصاراً غير الله الذى كفروا به ، يمنعون عنهم العذاب ؛ وحينئذ يظهر عجز الأصنام التى كانوا يعبدونها عن دفع العذاب عنهم .

٤ — ولما انقضى الطوفانُ ، ورأى نوح جُثث الكافرين من قومه ، وكان قد لاقى منهم العنت والهوان ، دعا على من سار سيرة قومه من الأمم ، فسأل الله ألا يترك على الأرض واحداً من الكفار الذين يُشبهون قومه ، لأنه إن تركهم فى ضلالهم ، أضلوا غيرهم عن الحق ، ونشروا آثامهم ، وعظم فسادُهم ، وانتقل فسادُ أخلاقهم إلى ذريتهم بالوراثة ، فلا يلدون إلا من كان مثلهم ، فى فجورهم وكفرهم .

٥ — ثم سأل نوح ربه ، أن يغفر له ما ربما بدر منه ، مما لا يرضيه ، ويغفرَ لوالديه المؤمنين به ، ولأولاده الذين آمنوا برسالته وأسرهم ، ولكل من آمن به من ذكر أو أنثى ، فإن عاد أحد المؤمنين الذين نجوا من الغرق إلى العصيان والظلم ، وعَاثَ فى الأرض فساداً ، فقد سأل اللهَ أن يُعامله كما عامل قومه ، بأن يُنكل به تنكيلا ؛ يحذرُ نوح بهذا من آمن به — وقد كانوا حديثي عهد بالكفر — بطش الله بمن خالف أمره ، ونبذ العملَ بشرائعه .

سورة الجنّ

نزلت بمكة ، وآياتها ٢٨ آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية الخامسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
أوحي إليّ	أعلمني الله خفية، وألهمني .
نفرٌ	جماعة بين الثلاثة والعشرة .
عجباً	عجيباً ، من حسن نظمه ، وبلاغة أسلوبه .

الألفاظ	شرحها
يهدي إلى الرشد	يدعو إلى الصواب ، والإيمان والتوحيد .
فآمنا به	فصدقنا أنه من عند الله ، واهتدينا به .
جد ربنا	عظمة الله جل جلاله ، أو ربنا العظيم .
صاحبةً	زوجة .
سفيهنا	إبليس .
شططاً	قولا بعيداً عن الحق ، مجاوزاً للصواب .

مجمل المعنى

١ — الجن : عالمٌ مخلوقٌ من نار ، مستتر عن الحواس ، غير مَرئى للناس ، تُبعثُ إليهمُ الرسلُ كما تُبعثُ إلى الإنس ، وهمْ مثلهم سواء ، يُثابُ مُؤمنهم ، ويعاقب كافرهم ؛ وقد أمر الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أن يدعوهم إلى الإسلام ، وأن يقرأ عليهم القرآن ، فلما دَعاهم : منهم من آمن به فاستحق الثواب ، ومنهم من كفر به فحق عليه العقاب .

٢ — وقد صرفَ الله إلى سيدنا محمد جماعة من نصارى الجن ، فلما سمعوا منه القرآن ، أخذهم العجب بفصاحة كلامه ، وحسن معانيه ، ودعوته إلى توحيد الله وعبادته ، فآمنوا به وصدقوه ، ولم يُشركوا بعبادة ربهم أحداً .

٣ — وقد آمن الجنّ أن الله العظيم منزهٌ عن أن يتخذ له زوجة ، أو أن يكون له ولدٌ ، وأن ما كان يُوسوسُ به إليهم سفيههم إبليس ، من أن لله صاحبة وولداً ، بعيدٌ عن الحق ، مجاوزٌ للصواب ، وأنهم ما كانوا يظنون أن أحداً من إنس أو جن ، تبلغ به الجرأة إلى حدّ أن يفترى على الله الكذب ، فينسبَ إليه الزوجة والولد ! تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيراً ! .

(٢)

من الآية السادسة إلى الآية العاشرة من سورة الجن

وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ
رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا
لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا
نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾
وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
يعوذون	يعتصمون ويستجيرون ، ويطلبون النجاة .
رَهقاً	طغياناً وإثماً ، أو ذلة وخوفاً .
لمسنا السماء	طلبنا بلوغ السماء ، واستماع أخبارها .
فوجدناها ملئتْ حرساً شديداً	صادفناها مملوءة بملائكة أشداء ، تمنعنا من استراق السمع .
شهباً	كواكب محرقة .
مقاعد للسمع	مواضع كنا نقعد فيها لاستراق السمع .

الألفاظ	شرحها
فمن يستمع	فمن يُرد الاستماع .
شهاباً	شعلة من نار ساطعة .
رَصَداً	يَرصُدُه ويرقبه ، لينقض عليه .
شرّ	عذاب .
رَشداً	خيراً ورحمة .

مجمل المعنى

١ — كان الرجلُ من العرب قبلَ مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، إذا نزل بواد أو مكان قفر ، أو أراد المبيت فيه ، نادى بأعلى صوته : يا عزيز هذا الوادى ، إنى أعوذ بك من سفهاء قومك ، اعتقاداً منه أن كبيرَ الجنّ فى هذا الوادى يحميه من سفهائهم ، وكان ذلك داعياً إلى طغيان الجن على الإنس ، واستخفافهم بهم ، حتى قالوا : لقد صرنا سادة للإنس ، كما زاد الجنُّ الإنسَ خطيئة وإثماً ، لأن الإنسَ استعاذت بهم ، وطلبوا العون والنجاة منهم ؛ والاستعاذة بغير الله كفرٌ وبهتان ! وقد توهم بعضُ الناس أن الجن يتمثلون فى صور الإنسان أو الحيوان ، أو يلابسون أرواح الرجال والنساء ، أو يصيبونهم بأمراض ، أو يطلعون على الغيب ، وكل ذلك لم يرد فى القرآن أو السنة ، وهو وَهمٌ باطل ، واعتقاد فاسدٌ .

٢ — وقد خاطب الله قريشاً تبكيتاً لهم ، لما تباطأوا عن الإيمان بدعوة محمد ، بأن الجن ظنوا أولَ الأمر كما ظننتم أنتم ، أن اللهَ لن يبعث إلى الخلق رسولا يهديهم إلى الحق والخير ، ولكنهم لما سمعوا القرآن آمنوا به ، وكنتم

أنتم أحقّ من الجن بالإيمان والتصديق ، لأنكم قومُ النبي وعشيرته .

٣ — وكانت مردةُ الجن قبل مبعث الرسول ، يصعدون إلى السماء ، ويقعدون في مواضع منها يسمعون أخبارها ، ثم ينقلونها إلى الكهان والدجالين ، مشوبة بالأكاذيب ، فلما بُعث محمد ، عزل الجنّ عن استماع أخبار السماء ، وازداد حرسها بملائكة أشداء ، سدوا عليهم جميع منافذها ، وحالوا بينهم وبينها ، فإذا اجترأ أحدهم أن يستمع ، وجد شهاباً من الكواكب يَرصده ، فينقض عليه ويحرقه .

٤ — ولما حيل بين الجن وبين أخبار السماء ، وبعث الله محمداً هدايةً للخلق أجمعين ، تساءل الجنّ : لسنا ندرى : أشر أريد بأهل الأرض بإرسال محمد إليهم — لأنهم إن كذبوه هَلكوا كما هلكت الأمم الذين من قبلهم ، لتكذيبهم رسلهم — أم أراد الله أن يُؤمن قومه فيصيبهم الخير ، وينالهم من الله رحمته ورضوانه ؟ .

(٣)

من الآية ١١ إلى الآية ١٥ من سورة الجن

وَأَنَّا مِنَّا الصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ
أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِى الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰٓ
ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا
الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾
وَأَمَّا الْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ومنا دون ذلك	ومنا غير الصالحين ، أو الكافرون .
كنا طرائق	كنا مذاهب متفرقة ، وأدياناً مختلفة ، جمع طريقة ، وهى : المذهب .
قددا	جمع قدّة ، وأصلها : القطعة التى تقطع من السير ؛ وقدداً : متفرقة .
وأنا ظننا	وأنا علمنا وأيقنا .
لن نعجزَ الله	لن نفوته ونفلت من سلطانه .
الهدى	القرآن .

الألفاظ	شرحها
بخساً	نقصاً فى الجزاء .
رَهقاً	ظُلماً ، وأن يكلف ما لا يطيق .
القاسطون	الجائرون ، الحائدون عن سبيل الهدى .
تحروا رشدا	قصدوا طريق الحق وتوخَّوْه .
حَطباً	وقوداً .

مُجْملُ الْمَعْنَى

١ — يَحكى الجنّ عن أنفسهم : أننا قبل أن نسمع القرآن ، كنا فى حالة من الفوضى ، كان منا المؤمنون الصالحون ، والمؤمنون غير الصالحين ، كما كان منا الكافرون ، وكانت مذاهبنا وأديانّنا مختلفة .

٢ — ولقد أيقنا أن قدرةَ الله فوق كل قدرة ، وعلمنا أننا لن نستطيع أن نُفلت منه أينما ذهبنا فى الأرض ، أو فررنا هاربين إلى السماء .

٣ — ولما سمعنا القرآن آمنا به ، وصدقناه ، لأن المؤمن الذى يعمل عملا صالحاً ، لا يبخس اللهُ عمله ، ولا ينقص من حسناته شيئاً ، ولا يظلمه مثقال ذرة .

٤ — وبعد أن سمعنا القرآن ، كان منا من آمن واهتدى ، ومنا من شقىَ وكفر ؛ فأما الذين اهتدوا وآمنوا ، فقد سلكوا سبيل الرشاد ، وأما الذين ضلوا وكفروا ، فأواهم جهنمُ وبئس المهاد !

(٤)

من الآية ١٦ إلى الآية ٢٣ من سورة الجن

وَأَلَّوِ اسْتَقَٰمُوا عَلَى
الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ
عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا
تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ
عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى
لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ
أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ
وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
استقاموا على الطريقة	اتبعوا طريق الإسلام .
غدقا	كثيراً نافعاً .
لنفتنهم فيه	لنختبرهم : أيشكرون أم يجحدون؟ .

الألفاظ	شرحها
يعرض عن ذكر ربه	يترك طاعة الله والعمل بكتابه .
يسلكه	يُدخله .
صَعدا	شاقًّا .
المساجد لله	بيوت العبادة مختصة به .
عبدُ الله	محمد صلى الله عليه وسلم .
يدعوه	يعبد ربه وحده ، ويقرأ القرآن .
كادوا	كاد الكفار .
لبدا	جماعات ، من تلبد الشيء على الشيء : أى تجمع ، ومفرده : لبدة .
أدعو ربى	أعبد ربى .
لا أملك لكم ضرًّا ولا رَشدا	لا أستطيع أن أدفع عنكم شرًّا ، أو أسوق لكم نفعاً .
لن يجيرنى من الله أحدٌ	لا يمنع عنى عذابه أحد إن عصيته .
ملتحدا	ملتجأ ألجأ إليه .
إلا بلاغاً من الله	لا أملك إلا أن أبلغكم عن الله ما أرسلنى به .
من يعص الله ورسوله	من لم يعتقد بوحدانية الله ، ولم يصدق برسالة نبيه .
خالدين فيها أبدا	مقيمين فيها دائماً .

مجمل المعنى

١ — إن الجن والإنس لو آمنوا بالله وأطاعوه ، وسع عليهم فى الرزق ، وفتح

عليهم أبواب الخير ، امتحاناً لهم ، وليعلم مقدار شكرهم له ، على إحسانه إليهم جزاء إيمانهم وطاعتهم ، أو جحودهم آلاءه ! فإن ظلوا مستمسكين بالإيمان : يفعلون الحسنات ، ويتركون السيئات ، شكراً لله على ما آتاهم من فضله ، زادهم نعمة ، وأولاهم إحساناً ، وإن فتنهم المال ، وأبطرتهم النعمة ، فاجترحوا السيئات ، وارتكبوا المحرمات ، وغرقوا فى اللذات ، نزع الله عنهم فضله ، وسلبهم نعمه ، وبدلهم بالغنى فقرا ، وبالسعادة شقاء ، وأعد لهم فى الآخرة أشد العذاب ، وأشق العقاب ؛ والضمير فى قوله : « استقاموا » ، يعود على من لم يؤمنوا من الجن والإنس .

٢ — إن بيوت العبادة التى يبنيها أهلُ الملل من يهود ونصارى ومسلمين ، خاصة لله ، يجبُ أن تُفرَد لعبادته وحده ، وأن يقتصر فيها على ذكره وطاعته ، فينبغى ألا يعبد فيها أحدٌ سواه ، أو يوضع فيها صنم أو وثن ، أو تتخذ للهو والتجارة ، والبيع والشراء ، أو تستخدم طريقاً أو مجلساً ، أو يجعل فيها لغير الله نصيبٌ .

٣ — لما قام محمدٌ يدعو إلى عبادة الله وحده ، وترْك عبادة الأصنام ، تألب عليه كفار مكة من قريش ، وتظاهروا عليه ، وكادوا من فرط تجمعهم وتعاونهم ، يكونون كخيوط الشعر أو الصوف التى تلبدت ، وتراكب بعضها فوق بعض ؛ فأمره اللهُ أن يُبلغَ قومه ، أنه لم يأت أمراً مُنكراً ، يستوجب تألبهم عليه ، وإعراضهم عنه ، ونفورهم منه ، وأنه إنما يعبدُ ربه ، الذى خلقه وسوّاهُ ، وأسبغَ عليه آلاءَه ، فهو حقيقٌ ألا يشرك به أحداً ، وأن يَخصه بعبادته ،

٤ — كما أمر اللهُ رسوله ، أن يبلغ من تكالَبُوا على أذاه ، وتمادَوْا في طغيانهم وعنادهم ، أنه بشرٌ مثلهم ، خصه الله بالرسالة ، وأنه لا يقصد من دعوته بسط نفوذه عليهم ، أو أن يبدلَ قضاءَ الله فيهم ، من خير أو شر ، ومَن نفع أو ضر ، وأنه إن خالف أمر الله ، أو أهملَ تبليغ دعوته ، فلن يستطيع أحدٌ غيره أن يرُدّ عنه عقابه ، أو يمنع عنه عذابه ، ولن يجد — إن أراد الهربَ من عقابه — ملاذاً يَلتجىء إليه ، أو عاصما يعتصم به ، ولن يجد غير الله وليًّا ولا نصيراً ، وكل ما يملكهُ هو أن يُبلغَ الجن والإنس ما أمره الله أن يُبلغه لهم ، فإن أطاعوا أعد لهم ثواباً عظيما ، وإن عصوا أعد لهم عذاباً أليماً في نار جهنم ، يقيمون فيها أبداً .

(٥)

من الآية ٢٤ من سورة الجن إلى آخر السورة

حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾
قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ
فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ
بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ
وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾

شَرْحُ الأَلْفاظ

الألفاظ	شرحها
ما يوعدون	ما يُنذرون من العذاب .
ناصراً	عوناً وحامياً .
إن أدري	ما أدري .
أمداً	غاية وأجلا .
الغيب	ما لا يستطاع الاهتداء إليه بالحواس أو بالفراسة .
فلا يظهر	فلا يطلع .
يسلك	يُقيم ويبث .
رَصداً	حُراساً وحفظة .

مجمل المعنى

١ — لا يزالُ الكفارُ فى تكذيبهم ، حتى يأتى يومُ الحساب ، ويروا ما يحل بهم من العذاب ، وحينئذ يعلمون : أيهم أضعف ناصراً وأقل عدداً ؟ : الخالق سبحانه وتعالى وهو مالك الملك ؟ أم المخلوق وقد فرّ من حوله أخوه وأمه وأبوه ، ووقف أمام ربه يقول : « ما أغنى عني ماليه ، هلك عني سلطانيه » ؟.

٢ — وإن الحساب ونزول العذاب ، آتيان لا ريب ، لأن اللهَ أوعدَ الكفار بذلك ، لكن وقت الوعيد والحساب لا يعلمه إلا الله ، ولَم يُطلع عليه نبيه ، فلا يدرى إن كان يحلّ فى أجل قريب أو بعيد .

٣ — وعلم الساعة من الغيب ، والغيب لا يعلمه إلا الله ، ولا يطلع عليه أحداً من عباده ، من إنس أو جن أو كاهن ، إلا من ارتضى من رسله ، واصطفى من أنبيائه ، فإنه أودعهم ما شاء من غيبه ، بطريق الوحى إليهم ، وجعله معجزة لهم ، ودلالةً صادقةً على نبوّتهم ، وأقام حول كل منهم حفظة من الملائكة ، يحفظونه من الشياطين ، فلا تسترق ما أوحى الله به ..

٤ — ذلك ليعلم الجن أنهم لن يستطيعوا أن يسترقوا السمع ، أو يعرفوا من أمر الغيب شيئاً ، وأن الرسل قد أبلغوا ما أنزل إليهم من الوحى ، وأن علم الله محيط بما عند الملائكة والرسل ، لأنه من وحيه إليهم ، فلا يفرّطون فى إبلاغه ، أو يزيدون أو ينقصون منه ، وأنه على علم بعدد كل شىء ، ولا يقع فى ملكه صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها .

سُورة المزَّمِّل

نزلت بمكة ، ما عدا الآيات ١٠ ، ١١ ، ٢٠ ، فقد نزلت بالمدينة ،
وآياتها ٢٠ آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية التاسعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣
أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥
إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا
طَوِيلًا ۝٧ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨ رَّبُّ الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝٩

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
المزمل	المتلفف فى ثيابه ، وأصلها : المتزمل .
قم الليل	تهجد فيه وتعبد .
نصفه أو انقص منه	قم ثلثى الليل ، أو نصفه أو ثلثه .
ورتل القرآن ترتيلا	واقرأه فى مهل وتؤدة ، وتبيين حُروف ، وتدبر معان.
قولا ثقيلا	قرآنا يثقل العملُ بشرائعه ، وتكاليفه الشاقة .
ناشئةَ الليل	قيام الليل فى ساعاته وأوقاته ، قياماً يتجدد و يتكرر.
أشد وطأ	أثقل على المتعبد من ساعات النهار ، وأوقاته أكثر موافقة للعبادة من أوقات النهار .
وأقوم قيلا	وأشد قولا ، وأشد استقامة على الصواب ، لحضور القلب ، وهدوء الأصوات فيه .
سبحاً طويلا	فراغاً طويلا تتصرف فيه فى حوائجك ، وتتقلب فى مهماتك .
واذكر اسم ربك	اقصد بعملك وجه الله ، ودم على تسبيحه وعبادته .
وتبتل إليه تبتيلا	وانقطع إليه وحده بالعبادة ، ولا تشغل قلبك بغيره .
فاتخذه وكيلا	فاجعل كل أمورك موكولة إليه .

مُجْمَلُ الْمَعْنَى

١ — لما نزل الوحى على محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو يتعبد فى غار حِرَاء ، ورأى جبريل أول مرة ، خاف وفزع ، ورجع إلى بيته يرتعد ، وقال لزوجه خديجة : « زملونى زملونى » ، فلففته فى كساء ، فخاطبه الله بالحالة التى كان عليها ، تأنيساً له ، وتلطفاً معه ، ليشعره أنه غير عاتب عليه ، فقال : « يأيها المزمل قم الليل . . » .

٢ — وقد فرض اللهُ بهذه الآيات الكريمة على النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، قيام ثلثى الليل ، أو نصفه ، أو ثلثه على الأقل ، للتهجد والتعبد ، فشق ذلك عليهم ، لأن بعضهم كان لا يدرى : متى ينتهى الوقت المفروض لعبادة الليل ؟ فيمسى قائماً يصلى إلى الصباح ، مخافة أن يُخطىء ، حتى ورمت أقدامهم ، وامتُقعت ألوانهم ، فرحمهم الله وخفف عنهم ، فلم يجعل قيامَ الليل فرضاً عليهم ، بل جعله تطوعاً منهم ، يثيبهم عليه إذا قاموا به ، ولا يعاقبهم عليه إذا تركوه ، وأنزل الله فى أول سورة « طه » قوله تعالى : « ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ، إلا تذكرة لمن يخشى » .

٣ — وقد أمره اللهُ تعالى أن يقرأ القرآن فى تؤدة وتمهل ، وتبيين حروف ، وتدبر معان ، حتى يستفيد بتلاوته القارئ ، وتبلغ عظاته وأحكامه قلب السامع ؛ ذلك لأن القرآنَ الذي أنزله الله على نبيه ثقيلُ الوطأة ، بما تضمن من شرائعَ وأحكام ، وفروض وحدود ، وحلال وحرام ، وتكاليف شاقة ، فينبغى أن يُقرأ بأناة وبيان ، حتى تُفهم معانيه ، وتدرك مراميه .

٤ — وقد رغّبنا الله تعالى فى قيام الليل والتعبد فيه ، لأن أوقاته أكثرُ موافقة للعبادة من أوقات النهار ، والقراءة فيها أقوم ، وأكثر استقامة على الصواب من أوقات النهار ، لهدوء الأصوات ، وسكون الحركات ، وحضور القلب ، وصفاء النفس فى الليل ، فلا يُشغَل فيه بال المتعبد بشئون الحياة ، ولا يضطرب عليه ما يقرؤه فيه ! هذا إلى أن أوقات النهار أنسبُ للتصرف فى الحوائج ، والتقلب فى المهمات ، والسعى فى طلب العيش ، من أوقات الليل .

٥ — ومع أن أوقات الليل هى أنسب الأوقات للعبادة ، والقراءة والتهجد ، فيجب ألا يفرغ قلب الإنسان من ذكر الله فى ليل أو نهار ، وألا يغفل عن ذكر الله ، وتسبيحه وتمجيده ، فإن ذلك يوجهه دائماً إلى خير العمل ، ويجنبه الخطل والزلل ، لأن الله مالك الملك ، بيده الخير والشر ، وهو الكفيل بأن نكل إليه أمورنا ، وتدبير شئون حياتنا ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

(٢)

من الآية ١٠ إلى الآية ١٤ من سورة المزمل

وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ

وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ
قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا
أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا
مَّهِيلًا ﴿١٤﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
واهجرهم هجراً جميلا	وتجنب الكافرين ، وغض الطرف عنهم ، وكِل أمرهم إلى الله .
ذرني والمكذبين	دعني وإياهم ، لأنتقم لك منهم .
أولى النعمة	أولى الغنى والترف ، ورفاهة العيش .
ومهلهم قليلا	وأمهلهم فى ضلالهم مُدة حياتهم .
أنكالا	قيوداً ثقالا وأغلالا ، واحدها : نِكْل .
وجحيما	ونارا شديدة الاتقاد .
ذا غصة	غير سائغ ، يقف بالحلق ، فلا ينزل ولا يخرج .
ترجف الأرض	تتحرك وتضطرب بمن عليها .
كثيباً	رَملا متجمعاً .
مهيلا	رخو البناء ، يزل تحت الأقدام .

مُجْمَلُ الْمَعْنَى

١ — كان كفار قريش يقابلون دعوة النبي إلى دين الحق ، بتكذيب واستهزاء وسخرية ، وكان المسلمون فى أول دعوة النبي قلة ، وكان الكفارُ كثرةً ، فأمره الله أن يصبر على أذاهم وتكذيبهم ، وأن يتجنبهم ولا يتعرض لهم ، وأن يكل لله أمرهم ، فلما قويت شوكة المسلمين ، وكثر عددهم ، أمر بقتالهم ، وقتلهم إن تعرضوا له ، أو قاوموا دعوته .

٢ — وقد هدد الله هؤلاء الكفار المكذبين ، الذين أبطرهم المالُ والترف واللذة ، بأنه أمهلهم مدة حياتهم ، يخوضون ويلعبون ، ويقولون ما يشاؤون ، وأعد لهم يوم الحساب قيوداً ثقيلة وأغلالا ، وناراً موقدة ، وطعاماً ينشب فى حلوقهم فلا يسيغونه ، وأنواعاً أخرى من العذاب ، لا يعرف كنهها إلا اللهُ ، فى يوم شديد الهول ، تضطرب الأرض فيه اضطراباً شديداً ، وتهتز الجبالُ وتتحرك ، حتى تتفتت ، وتصير كثيباً من رمل متجمع ، ينهار من تحت أقدامهم فتزِلّ ، ولا يعرفون كيف يستقرون ، فالنارُ والعذاب من فوقهم ، والانهيار والاضطراب من تحت أرجلهم .

(٣)

من الآية ١٥ إلى الآية ١٩ من سورة المزمل

إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٩﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
إنا أرسلنا إليكم رسولا	إنا أرسلنا إليكم يأهل مكة محمداً رسولا .
شاهداً عليكم	يشهد عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم .
كما أرسلنا إلى فرعون رسولا	هو موسى عليه السلام ، أرسله الله إلى فرعون .
فعصى فرعونُ الرسول	كذبه فرعون ولم يؤمن به .
أخذناه	أهلكناه .
أخذاً وبيلا	إهلاكاً فيه شدة وعنف ، بإغراقه فى البحر .
فكيف تتقون إن كفرتم يوماً	فكيف تقون أنفسكم من عذاب الله يوم القيامة ، إن بقيتم على الكفر؟.

الألفاظ	شرحها
يجعل الولدان شيباً	يشيب فيه الصبيان من الهول والفزع .
السماء منفطرٌ به	السماء متشققة متصدعة فى هذا اليوم لشدته، ولم يقل منفطرة ، لأن السماء تذكر وتؤنث .
كان وعده مفعولا	كان وعد الله بالقيامة حاصلا لا شك فيه .
تذكرةٌ	موعظة .
اتخذ إلى ربه سبيلا	تقرب إليه بسلوك سبيل التقوى .

مجمل المعنى

١ — بعد أن ذكر اللهُ أحوالَ يوم القيامة فى الآيات السابقة، ذكَّر المكذبين بأهوال الدنيا ، وما أصاب أمثالهم ممن كذبوا رسلهم ، فبين أن محمداً صلى الله عليه وسلم نشأ بين قومه فى مكة ، كما نشأ موسى بين فرعون وقومه فى مصر ، فلما أرسل الله محمداً إلى قومه ، سخروا منه وكذبوه ، كما سخر فرعونُ وقومه بموسى وكذبوه، حينما أرسله اللهُ إليهم ؛ وقد هدد اللهُ كفار قريش بأن محمداً هو الذى سيشهد يوم القيامة على الكافرين المكذبين ، كما ذكَّرهم بأن فرعون لما كذب موسى وعصاه ، وسخر منه، انتقم اللهُ منه انتقاماً شديداً ، بأن أهلكه فى بحر القُلزُم ، وأذاقه عذاباً وبيلا .

٢ — وقد وبخ الله الكفارَ لبقائهم على الكفر ، بأنهم لن يستطيعوا أن يحموا

أنفسهم من أهوال يوم القيامة ، ذلك اليوم الذى يشتد فيه الكرب ، وتشيب فيه نواصى الأطفال ، وتتصدع من شدته السماء ، ويكون ما وعد الله به من الحساب والجزاء حاصلا لا ريب فيه ، لأنه وَعدٌ من الله ، والله لا يخلف الميعاد .

٣ — وتذكير الكفار بما أصاب فرعون من سوء العاقبة فى الدنيا ، وبما أعد لهم من عذاب أليم فى الآخرة ، إنما هو للعظة والذكرى ، وتنبيه من الله إلى أنه واسع المغفرة أيضاً ، فمن أراد أن يسلك السبيل إلى رضاه ورحمته ، فليبادر إلى الإيمان به ، وليأخذ الطريق إلى طاعته .

(٤)

من الآية العشرين من سورة المزمل ، وهى آخر السورة

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۗ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
تقومُ	تتعبد وتتهجد .
أدنى	أقل .
ونصفه وثلثهُ	وتتعبد نصفه وثلثه .

الألفاظ	شرحها
وطائفة من الذين معك	ويقوم هذا المقدار جماعة من أصحابك .
والله يقدّرُ الليلَ والنهارَ	والله وحده يعلم مقادير الليل والنهار على حقيقتها .
لن تحصوه	لن تعرفوا حقيقته .
فتاب عليكم	فأعفاكم من فرض قيام الليل ، تيسيراً عليكم .
فاقرأوا ما تيسر من القرآن	فصلوا ما تيسر عليكم ؛ والصلاة تسمى قرآناً ، قال تعالى : « وقرآن الفجر » : أى صلاته .
يضربون فى الأرض	يسافرون ويتنقلون فى الأرض .
يبتغون من فضل الله	يطلبون العلم أو كسب المال من التجارة .
يقاتلون فى سبيل الله	يجاهدون لنشر دين الله .
وأقرضوا الله قرضاً حسناً	وأنفقوا طيب المال فى الخير مرضاة لله .
تجدوه عند الله هو خيراً	تجدوا ثوابه عند الله يوم القيامة خيراً مما تركتم فى الدنيا .

مجمل المعنى

١ — هذه الآيات لها اتصالٌ بما تقدم أول السورة ، فإنه لما فرضَ اللهُ على النبى وأصحابه القيام بالطاعات والعبادات ، ثُلثى الليل أو نصفه أو ثلثه ، كان بعضهم لا يعرف الوقت المفروض على التحديد ، فمنهم من ينقصه فيقع فى الإثم ، ومنهم من يزيد عليه فتلحقه مشقةٌ ، لأنهم لا يعرفون الأوقات على حقائقها ، وإنما كانوا يحسبونها بالظن والتخمين ،

فيخطئون فيها ! والله سبحانه وتعالى هو الذى يُقدر أوقات الليل والنهار على حقيقتها، وقد أعفاهم من فرض قيام الليل عليهم ، وجعل ما تيسر عليهم منه سُنة مستحبة ، فمن شاء قام به فيثاب ، ومن شاء تركه ولا عقاب عليه .

٢ — وقد بين الله سبحانه سبب تخفيف قيام الليل على عباده ، حتى يدركوا مقدار رحمته وفضله عليهم ، بأن منهم المرضى والشيوخ والنساء ، الذين يتعذر عليهم قيام معظم الليل ، ومنهم المسافرون فى التجارة أو طلب العلم ، ومنهم المجاهدون فى سبيل الله ، وهؤلاء يشق عليهم مع ذلك قيامُ الليل ، مع الأعباء التى يقومون بها نهاراً ! وقد سوى اللهُ بين درجة المجاهدين فى سبيله ، والساعين لكسب المال الحلال ، حثًّا للناس على العمل وطلب الرزق من أشرف الوجوه .

٣ — وقد أمر الله تعالى بوجوب إقامة الصلوات الخمس فى أوقاتها ، وأداء الزكاة المفروضة ، والتصدق بأطيب الصدقات ، وإنفاق خير المال فى نواحى البر والخير ، لوجه الله تعالى .

٤ — وإن الذين يفعلون الخير ، سيجدون خيراً منه عند الله يوم القيامة : ثواباً مُضاعفاً ، وأجراً عظيما ! هذا إلى أنه يغفرُ لهم ذنوبهم إن استغفروه ، ويستر عيوبهم ، ويشملهم برحمته الواسعة ، ويخفف عنهم الجهد والمشقة ، ويدخر لهم السعادة الأبدية فى دار الرحمة والرضوان .

سورة المدَّثِّر

نزلت بمكة ، وآياتها ٥٦ آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية العاشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝
وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝ فَإِذَا نُقِرَ
فِي النَّاقُورِ ۝ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
المدثر	المتلفف فى الدثار : وهو الثوب الذى فوق الشعار ، والشعار : الثوبُ الذى يلى الجسد .
قم فأنذر	انهض من مضجعك فى عزم وتصميم ، وبلغ الناسَ رسالتك ، وحذرهم عذاب الله إن لم يؤمنوا به.

الألفاظ	شرحها
وربك فكبر	وعظم سيدك ، واختصه بالتكبير والتعظيم .
وثيابك فطهر	وطهر نفسك من الصفات المذمومة ، كالجزع وقلة الصبر ؛ والمراد : لا تلبس ثياباك على نفس آثمة
والرجز فاهجر	الرجز : العذاب ، أى داوم على ترك ما يسبب العذاب .
ولا تمنن تستكثر	ولا تمنن مستكثراً ، أى لا تعط عطاء تقدر فى نفسك أنه كثيرٌ .
ولربك فاصبر	واصبر لأجل رضا ربك على مشقات النبوة ، وطاعة الله ، وأذى الكفار .
نقر فى الناقور	نُفخ فى الصور يوم القيامة .
فذلك يومئذ يوم عسير	فذلك اليوم — وهو يوم القيامة — يوم شديد .
غير يسير	غير سهل ولا لين.

مجمل المعنى

١ — كان الوليد بن المغيرة وبعضُ كفار قريش ، لما ضاقت بهم الحيلُ من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم من نشر دعوته ، أمروا عبيدهم وصبيانهم أن يتحرشوا به ، فصاروا ينادون فى مكة : إن محمداً لساحرٌ ، فاغتمّ الرسولُ ، ورجع إلى داره حزيناً ، وتلفف بثوبه ، مفكراً فى أمره مع قومه ، الذين قابلوا دعوته بالسخرية والاستهزاء ، فأمره الله ألا يدع إنذارهم ، وإن أسمعوه ما يؤذيه ، وخاطبه بقوله : « يأيها المدثر قم » ، وذلك ليستشعر

العطف واللطف من هذا الخطاب الرقيق اللين ، وليستنهضه إلى دعوة قريش ، واحتمال ما يسمعه من سفهائهم ، وأن يقوم فى عزم وجدّ ، ليدعو الناس إلى دين الله ، ويخوفهم عذابه ، إن لم يسارعوا إلى الطاعة والإيمان .

٢ — وأمره أن يختص اللهَ جلّ شأنه بالتعظيم والتكبير والتقديس ، وألا يخشى أحداً غيره ، وألا يعبد ربًّا سواه ، وأن يداوم على تطهير نفسه من الآثام ، ويصون نفسه مما شاع بين العرب من ذميم الأخلاق ، وأن يدع ما يستوجب عذاب الله ، وأن يجعل ما يقوم من خير وطاعة ، خالصاً لوجه الله ، لا ينتظر عليه أجراً ، ولا يتوقع عليه ثواباً ، ولا يستكثر ما يعطيه فى سبيل الله ؛ وليس المراد بهذا : أنه كان متصفاً بهذه العيوب ، وإنما المراد : أن من كان مثله طاهراً من كل شائبة ، منزهاً من كل عيب ، لابد أن يبلغ مراده ، وينالَ من حسن العاقبة أوفى نصيب .

٣ — واعلم يا محمد أن الله هو ربك وخالقك ، وسيدك ومالك أمرك ، فتحمَّل بصبر ما ألقى عليك من أعباء النبوة ، وتكاليف العبادة ، وما يصيبك من أذى الكفار ، ابتغاء وجه الله ، وقصد مرضاته .

٤ — ولن يذهب بصبرك ما ينالك من أذى الكفار ، فسيبعثون يوم القيامة للحساب ، وإنه ليوم عليهم عسير شديدٌ ، لا يعقبه يسر ، يلقَوْن فيه عاقبة تكذيبهم عذاباً أليماً ، وتلقى فيه عاقبة صبرك عليهم نعيما مقيما .

(٢)

من الآية ١١ إلى الآية ٣٠ من سورة المدثر

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾
وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا
إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾
فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ
وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ
هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾
لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ذرني	أمرٌ للتهديد ، والمعنى : دعني واتركني ، وكلْ أمر الوليد بن المغيرة إليّ .
وَحيدا	مفرداً حين ولادته ، لا مال له ولا ولد .

الألفاظ	شرحها
ممدودا	مبسوطاً ، كثيراً .
بنين شهودا	أبناء حاضرين معه فى كل مجتمع ، يعتز بهم .
ومهدت له تمهيدا	وهيأت له نعمتَى المال والجاه .
كَلاَّ	لن يكون له ما يريد .
عنيدا	معانداً للنبى ، منكراً لما جاء به ، مجاهراً بعداوته .
سأرهقه صعودا	سأذيقه وأحمله عذاباً شاقا .
فكر	جعل يُقلب وجوه الرأى فيما يصف به الرسول .
وقدر	وهيأ فى نفسه ما يقوله .
قتل	لُعن .
كيف قدر !	كيف استطاع أن يهيئ فى نفسه ما يوافق غرض قريش ؟! .
عبس	قطّب وجهه .
بسر	كلح وجهه ، وتغير لونه ، وهو أشد من العبوس .
أدبر	أعرض عن الحق ، وتراجع عنه .
واستكبر	تعاظم عن أن يؤمن .
إن هذا إلا سحر	ما هذا الذى يقوله محمد إلا خديعة ، وإظهارُ الباطل فى صورة الحق .
يؤثر	يُروى وينقل عن غيره .
إن هذا إلا قول البشر	ما كلام محمد إلا ككلام من مارسوا السحر من الناس .
سأصليه سقر	سأدخله سقر كى يصلى حرها ؛ وسقر : اسم من أسماء جَهنم .

الألفاظ	شرحها
وما أدراك ما سقر لا تبقى ولا تذر	كلمة تفظيع ، أى : وما أعلمك أى شىء هى ؟ تأتى على كل شىء .
لوّاحة للبشر	مسوِّدة للجلود ، مُحرقة لها ، والبشر : جمع بشرة ، وهى ظاهر الجلد .
عليها تسعة عشر	يقوم على جهنم تسعة عشر ملكاً ، هم الخزنة والرؤساء والنقباء .

الوليد بن المغيرة

ا — كان من صناديد قريش وزعمائها ، وأشدهم خصومة للنبى عليه الصلاة والسلام ، وأعظمهم معارضة لدينه : أبو لهب ، وأبو جهل ، وأبو سفيان ، والوليد بن المغيرة ، وكان الوليد بن المغيرة ، أكثرهم مالا ، وأعظمهم جاهاً ، فكانت بساتينه الممتدة بين مكة والطائف ، لا ينقطع ثمرها صيفاً ولا شتاء ، وكان له من الأنعام والجوارى والأموال ، ما لا يعرف له عدّ ، ولا يبلغه حصر ، وكان له أولاد عشرة ، يزينون مجلسه ، ويلتفون حوله ، فيزيدونه وجاهة وجاهاً ، وكانوا دائماً يحضرون مجلسه ، لا تضطرهم حاجة العيش إلى الرحلة ، أو السعى وراء الرزق .

ب — ضاق هؤلاء الزعماء ومن إليهم ذرعاً بمحمد ، ورأوا أن دعوته تصادف إذعاناً وقبولا من كثير من العرب ، ورأوا أن موسم الحج قد قرب ، وأن محمداً سيجتمع بالوافدين إلى مكة ، من أنحاء الجزيرة العربية ، وسيعرض عليهم الدخول فى دينه ، فاجتمعوا وتشاوروا فيما يفعلون ، ليحبطوا

دعوته ، ويصرفوا النبي عنه ، واختلفوا فيما يقولون فيه ، فقام رجل منهم ، وقال : شاعرٌ ، وقال ثان : كاهنٌ ، وقال ثالثٌ : مجنون ، وقال رابع : كذاب ! كل هذا والوليد يسمع ولا يتكلم ، فقالوا له : مالك يا أبا عبد شمس لا تتكلم ؟ فقال : لقد سمعت محمداً يقرأ كلاماً ما هو كلام إنس ، ولا كلامُ جن ، وإن له لحلاوة ، وإنعليه لطُلاوة ، وإنه ليعلو وما يُعلى عليه ، وما يقول هذا بشرٌ ! فعرَا الحاضرين دهشةٌ وذهول ، وقالوا : لقد صبأ الوليد ، وترك دين آبائه ، ولتصبأن معه قريش كلها ، ولتتبعن دين محمد معه ؛ فغضب الوليد وترك الجمع ، وذهب إلى داره ؛ فحزنت قريش حزناً شديداً ، فقال لهم ابن أخيه أبو جهل : لا تحزنوا ، فأنا أعرف تكبر الوليد واستعلاءه ، وسأرجع به إليكم ، يشير عليكم بما تفعلون .

ج — ذهب أبو جهل إلى دار الوليد ، وجلس كئيباً حزيناً ، فقال له الوليد : مالي أراك حزيناً ؟ ! فقال أبو جهل : — يريد إثارته — ومالي لا أحزن ، وهذه قريش يجمعون لك مالا يقدمونه لك ، ويزعمون أنك زَينت كلام محمد ، لتكسب عنده جاها ، وتنالَ منه طعاماً ؟ فغضب الوليد وتكبر ، وقال : أنا أحتاج إلى كيس محمد ، وأنتم تعلمون قدر مالي ؟ مابي حاجة إلى المال ، قم بنا لنعود إلى مجتمع قريش .

د — عاد أبو جهل بالوليد ، ففرحت به قريش ، فقال لهم : يا معشر قريش أنتم تريدون أن تقولوا : إن محمداً مجنون ، فهل رأيتموه يُخيف أحداً ؟ وتريدون أن تقولوا : إنه شاعر ، فهل رأيتموه نطق بشعر قط ؟ وتريدون

أن تقولوا : إنه كاهنٌ ، فهل رأيتموه تكهن ؟ ولقد رأينا للكهنة أسجاعاً ، فهل رأيتموه كذلك ؟ وتريدون أن تقولوا : إنه كذاب ، فهل جربتم عليه كذباً قط ؟ فقالوا جميعاً : اللهم لا ، ثم قالوا : فماذا نقول عنه إذن يا أبا عبد شمس ؟ ففكر الوليد طويلا فيما يقول لهم عن محمد، ليشيعوه بين العرب ، ثم دار بعينيه فيهم ، ليعرف استعدادهم لتقبل كلامه ، ثم هيأ ما دبره من الكلام فى نفسه ، ثم كلح لونه، وأربدّ وجهه، وقطّب جبينه ، وقال لهم : قولوا : إنه ساحر ، أما رأيتموه يُفرقُ بين الرجل وأهله ، وولده ومواليه! فصاحت قريش : مَرْحَى مرحى يا أبا عبد شمس ! ، وارتج النادى فرحاً ، وخرجوا مُعجَبين بفطنته ، وانطلقوا يُحدثون كل من يلقونه ، بأن محمداً ساحرٌ ! فاغتمّ لذلك النبى صلى الله عليه وسلم ، وحزن لما يقولونه عنه كذباً وافتراء ، ورجع إلى بيته مغتمّا ؛ كما تقدم فى أول السورة .

مجمل المعنى

١ — خفف الله الضيق عن نبيه ، وطلب منه أن يَدعَ شأنَ الوليد ، وألا يغتم بما افترى عليه ، فقد كان الوليدُ فى أول أمره وحيداً لا مال له ولا ولد ، ثم منّ اللهُ عليه بنعمة المال والولد ، حتى صار يُزهى بهما بين قريش ، وسينتقم الله وحده منه ، جزاء كفره وجحوده ! لقد بسط الله له فى الجاه والرياسة ، والترف والنعيم ، بل إنه لتمتد مطامعه إلى أن يزيده اللهُ من

نعمه ، ويسبغ عليه من فضله ، ولكن لن يكون لهذا الجاحد شيء من ذلك ، ولن يجمع اللهُ له بين الكفر والمزيد من النعيم ، وسيبتليه بنقص من الأموال والثمرات حتى يموت ، لأنه كافرٌ بالله ، جاحدٌ لنعمه ، معاند لنبيه ، وسيضاعف له العذاب يوم القيامة فى نار جهنم .

٢ — ذلك لأنه هو الذى فكر ودبر أمر الكيد لمحمد ، وولى عن الحق تكبراً واستعلاء ، وقال فى جرأة وقحة ، بل فى افتراء واختلاق : إن ما جاء به محمد ليس قرآناً من عند الله ، وإنما هو سحر مفترى ، وإفك مزخرفٌ . ألبسه محمد ثوب الحق ، ليخدع الناس به، ويجتذب القلوب إليه .

٣ — وليعذبنه اللهُ على تكبره وجحوده ، وكذبه وافترائه ، فى نار تسوِّدُ وجهه ، وتشوى لحمه ، وتذيب شحمه ، وتحرق عظمه ، فلا تبقى منه ولا تذر ، عليها تسعة عشر من ملائكة غلاظ شداد ، يقومون على أمر جهنم ، لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون .

(٣)

الآية ٣١ من سورة المدثر

وَمَا جَعَلْنَآ

أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
أصحاب النار	خزنة جهنم .
عدتهم	عددهم تسعة عشر .
فتنة	امتحاناً واختباراً .
ليستيقن	ليوقن .
ولا يرتاب	ولا يشك .

الألفاظ	شرحها
الذين أوتوا الكتاب	اليهود والنصارى .
فى قلوبهم مَرضٌ	فى قلوبهم نفاق أو كفر .
ماذا أراد الله بهذا مثلا	قالوا فى استغراب وإنكار : أى شىء أراد الله بهذا العدد العجيب ؟
كذلك	إشارة إلى امتحان الكفار والمنافقين وارتيابهم ، واستيقان الكتابيين والمسلمين وإيمانهم .
يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء	يوضح للناس طريقي الخير والشر ، ولكل فريق أن يختار لنفسه ما يلائم استعداده .
وما هى	وما سقر التي سبق وصفها .
ذكرى	عظة .
للبشر	للخلق .

مجمل المعنى

١ — لقد جعل اللهُ خزنة جهنم والموكلين بتعذيب أهلها ملائكة ، لأنهم أشدّ خلق الله بأساً ، وأقواهم بطشاً ، ولأنهم جنسٌ غير جنس البشر ، فلا ترقّ لهم قلوبهم ، وهم يقومون بتعذيبهم .

٢ — وجعل الله عدد النقباء والرؤساء الذين يقومون على سقر ، تسعة عشرَ ملكاً ، وهو عدد ينقص واحداً من عقد العشرين ، ليتحقق بامتحان الكفار أنهم لا يريدون إلا العناد ، فقد اتخذوا هذا العددَ سخرية بمحمد والقرآن ! فقد روى أنه لما نزلت هذه الآية ، قال أبو جهل لقريش : ثكلتكم أمهاتكم ! أسمع ابن أبي كبشة : « يريد محمداً صلى الله عليه

وسلم ، وكان المشركون يقولون للرسول : ابن أبى كبشة ؛ وهى كنية جده لأمه : وهب بن عبد مناف ، لشبهه به» أن يخبركم أن خزنة جهنم تسعة عشر ، وأنتم الدّهم : أى العدد الكثير ، والشجعان ، أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد منهم ؟ فقال أبو الأشد ابن كلدة : لا يهولنكم التسعة عشر ، أنا أدفع بمنكبي الأيمن عشرة من الملائكة ، وبمنكبي الأيسر التسعة ، ثم تمرون إلى الجنة ! يقولها مستهزئاً .

٣ — أما الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى ، فإنهم استيقنوا هذا العدد من الملائكة ، حينما ورد فى القرآن ، لأنه موافق لما قرأوه فى التوراة والإنجيل.

٤ — وأما المؤمنون المصدقون بكتاب الله ، فقد زادوا إيماناً على إيمانهم ، وتصديقاً على تصديقهم ، لأنهم يعتقدون أن القرآن حقٌّ من عند الله لا ريب فيه ، هدى للمتقين .

٥ — ولقد اقتضت حكمةُ الله أن تكون آياته اطمئناناً لقلوب الذين هداهم الله إلى الإسلام ، ومن شرح صدورهم له من أهل الكتاب ، وغيرهم من المؤمنين الصادقين ! أما الذين فى قلوبهم زَيغٌ والكافرون ، فإنهم لما سمعوا هذا العددَ قابلوه هازئين ساخرين ، وقالوا عنه متعجبين ، أى شىء أراد اللهُ بهذا العدد العجيب ، والمثل الغريب ؟ ! فلم لم يكونوا عشرين مثلا ؟ !

٦ — وبمثل هذه الآيات ، يمتحن اللهُ عباده ، ويخضعهم فيما يقولون أو يفعلون لمشيئته ؛ فالذين استحبوا العمى على الهدى ، يسرعون إلى الشرّ والفساد ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات ، يهديهم إلى الإيمان والرشاد .

٧ — وإن الكفار قد غرهم أن لله تسعة عشر ملكا ، يقومون على تعذيبهم فى نار جهنم ، وقالوا : ما أهونه عدداً ، وأضعفه قوة ! ولو علموا أن جنودَ الله من ملائكته لا يعلمها غيره ، وأن سقر التى سبق ذكرها ، وعدد ملائكتها ، والآيات الناطقة بأحوالها ، ما هى إلا عظة وعبرة للناس ؛ حتى يبتعدوا عما يؤديهم إليها ، وسيعلمون أمرها يوم يبعثون .

(٤)

من الآية ٣٢ إلى الآية ٤٧ من سورة المدثر

كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾

شَرْحُ الألْفاظ

الألفاظ	شرحها
كلا	حقًّا .
والقمر	أقسم بالقمر .
أدبر	ولى وذهب .
أسفرَ	أضاء وأشرق .

الألفاظ	شرحها
إنها لإحدى الكبر	إن سقر لأعظم البلايا والدواهى ، والكبر : جمع الكبرى ، مؤنث الأكبر .
نذيراً للبشر	مخوفاً للناس .
لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر	لمن شاء منكم أن يتقدم إلى الخير والطاعة ، أو يتأخر إلى الشر والمعصية .
رهينةٌ	مرتهنة بكسبها ، مأخوذة بعملها .
أصحاب اليمين	المسلمون السعداء ، الذين فكوا رقابهم بالإيمان والطاعة ، كما يُخلص الراهن رَهنهُ بأداء ما عليه من الحق .
يتساءلون	يسألون غيرهم ، أو يسألُ بعضهم بعضاً .
عن المجرمين	عن المشركين .
ما سلككم فى سقر	ما أدخلكم جهنم ؟
المصلين	الذين يعبدون الله وحده .
كنا نخوض مع الخائضين	كنا نخالط أهل الباطل ، ونشاركهم فى الكذب والبهتان ، والغِيبة والنميمة .
يوم الدين	يوم الحساب .
اليقين	الموت .

مجمل المعنى

١ — أقسم الله سبحانه بالقمر ، وبالليل إذا أدبر ! وبالصبح إذا أسفر ، على أن سقر داهية كبرى ، ومصيبة عُظمَى ؛ تنتظر الكافرين ، وتحذر المعاندين ! وإنما أقسم الله بهذه الثلاثة ، لأنها تدل على كمال قدرته ، وتمام حكمته ، وإبداء الخلق وإعادته ، كما هو مشاهد فى اختلاف النهار والليل فى نظام محكم ، وفى ظهور الضياء فى الشمس ، والنور فى القمر ؛ أقسم بالقمر لأنه آية الليل ، وفيه من الدلائل الباهرة على قدرة الله تعالى وحكمته ، وعلمه ، وعنايته بخلقه ، ما هو معلوم بالمشاهدة ؛ فمن تأمل القمر وهو يسير دائباً لا يفتُر ، يبدو هلالا ثم يصير بدراً ، ويأفل تارة ، ويظهر أخرى — علم قطعاً أنه مخلوق مُسخر بأمر خالق ماهر مدبر ، وأقسم بالليل فى إدباره ، وبالصبح فى إسفاره ، لأن من تأمل حال الليل إذا عسعس ، فهدأت الحركات ، وسكنت الأصوات ، ونامت العيون ، ومن تأمل حال الصبح إذا تنفس ، فهزم جيوش الظلام بنفسه ، وأضاء أفق العالم بقبسه ، علم أنهما آيتان شاهدتان بوحدانية خالقهما ، وكمال قدرته .

٢ — ولما أقسم الله للعباد بآياته الثلاث على سقر ، خوفهم بأنها كبرى الدواهى ، وأنها نذير لمن شاء أن يتقدم إلى الخير والطاعة ، أو يتأخر إلى الشر والمعصية ؛ فمن تقدم إلى الطاعة والإيمان ، جوزى بثواب لا ينقطع ، ومن تأخر عن الطاعة والإيمان ، عوقب عقاباً سرمديًّا دائماً .

٣ — ولما أقام الحجة على الكافرين ، وخوفهم عذاب يوم الدين ، ارتهن كل نفس بما كسبت ، وآخذها بما ارتكبت ، واستثنى من ذلك من قَبِلَ هداه ،

واتبع رضاه ، وهم أصحاب اليمين ، الذين آمنوا بالله ، وصدقوا المرسلين ، وسلكوا سبيل المتقين ، وتمتعوا بنعيم الجنات ؛ فهؤلاء يتساءلون عن المجرمين ، الذين يذكرون أنهم كذبوا الرسول ، وأعرضوا عن اتباعه ، قائلين لهم : ما أدى بكم إلى سوء المصير ؟ فيجيبونهم : بأنهم لم يكونوا ممن أذعنوا للحق ، بأن يعبدوا الله وحده ، وينبذوا عبادة الأصنام ، ولا ممن يُطعمون المسكين ، وكانوا يخالطون أهل الباطل فى باطلهم ، ويشاركونهم فى الكذب والزور والبهتان ، ولا يصدقون بيوم القيامة : يوم الجزاء والحساب ، حتى جاءهم الموت ، فقالوا : ياليتنا اتخذنا مع الرسول سبيلا .

(٥)

من الآية ٤٨ من سورة المدثر إلى آخر السورة

فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

شرحُ الألفاظ

الألفاظ	شرحها
فما تنفعهم شفاعة الشافعين	لا تقبل فى الكافرين شفاعةُ الشافعين من النبيين والصالحين، لأنها للمؤمنين دون الكافرين .
التذكرة	الموعظة .
معرضين	مولّين ومنصرفين .
كأنهم حُمرٌ	كأن الكفار فى إعراضهم عن الموعظة ، وفرارهم من محمد صلى الله عليه وسلم ، حمر الوحش .
مستنفرةٌ	نافرة وفارّة .

الألفاظ	شرحها
قسورة	القسورة : الرماة والصيادون ، مفردها قسور ، وقيل : القسور : الأسد .
صحفاً منشرة	كتباً مبسوطة أمام أنظارهم ، تقرأ وتنشر .
كلا	ليرتدعوا من هذا الظن الفاسد ! .
كلا إنه تذكرةٌ	حقًّا ، إن القرآن موعظة وذكرى .
فمن شاء ذكره	فمن أراد ذكره اتعظ واعتبر .

مُجْمَلُ المَعْنَى

١ — إن الكفار أصحاب الشمال ، الذين استبدلوا بالإخلاص شركا ، وبالإحسان والإنفاق فى سبيل الله إساءة وشحًّا ، وبالكلام النافع خوضاً فى الباطل ، وبالإيمان بيوم الحساب عناداً وتكذيباً ، إنهم لا تنفعهم شفاعة الشافعين ، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، لأن الشفاعة إنما تنفع المؤمنين لا الكافرين .

٢ — وليس لهم أن يطمعوا فى شفاعة ، بعد أن أنذرهم النبى فولوا وأعرضوا ، فما لهم بعد أن عرفوا أن كل إنسان مرتهن بعمله ، وأنه لا شافع يشفع لهم يوم القيامة ، مالهم نفروا من دعوته ، كما تنفر الحُمرُ الوحشية ، وتفر أمام الرماة والصيادين والأسود ؟ !

٣ — بل كانوا يلقون دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنذارهم بعذاب الله إن لم يؤمنوا ، بسخرية واستهزاء ، بل بما هو أعجب وأغرب ، إذ يطلبون

إلى النبي أن يأتى كلا منهم بكتاب خاص به من عند الله بدل القرآن ، تنشر فيه براءته ، وأمنه من النار ، بل كانوا يُمعنون فى الجحود والإنكار ، فيقولون له : لن نؤمن لك حتى ترقى إلى السماء ، « ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه » ، قال ابن عباس : كانوا يقولون : إن كان محمد صادقاً ، فليصبح عند كل رجل منا صحيفة فيها براءته وأمنه من النار .

٤ — ولن يُحقق اللهُ لهم ما يتمنون من هذا الاقتراح الفاسد ، لأنهم معاندون جاحدون ، ومهما جاءتهم البينات فإنهم لا يصدقون ، ولا يخافون يوم الحساب والعذاب .

٥ — وقد جعل الله القرآن عظة وذكرى للناس ، فمن شاء تذكر وآمن ، ومن شاء أعرض وكفر ؛ ومقتضى التوحيد والربوبية ، ان يبين الله لعباده الخير والشر ، حتى يعملوا الخير ، ويجتنبوا الشر ، كل على حسب ما شاء ، بعد أن بين الله لهم سبيل الهدى والضلال ، والحق والباطل ، وأن مصايرهم على حسب مشيئة ربهم ، وحكمة خالقهم .

٦ — والله عظمت نعمته ، وجلت قدرته ، أهل لأن يخافه عبيده ، وأهل لأن يشملهم فضله ، وأن يتقوه خشية وخوفاً ، وأن يرجوه مغفرة وفضلا ، فهم إذ يخافونه ويُنيبُون إليه ، يستحقون غُفرانه ، « قل : يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيمُ » ؛ وإذ يعصونه يستحقون عذابه ، « إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً » .

سورة القيامة

نزلت بمكة ، وآياتها ٤٠ آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية ١٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ
الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ
﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾
فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾
يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ
يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ
الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾

شَرْحُ الألْفاظ

الألفاظ	شرحها
النفس اللوامة	الضميرُ الحى ، الذي يؤنب صاحبه .
يفجرَ	يتمادى فى ارتكاب الذنوب .
أمامه	طيلة حياته المستقبلة .
بَرقَ البصرُ	زاغ يوم القيامة ، ودهش حتى لا يرى .
أين المفرّ ؟	أين طريق النجاة .
المستقرّ	الملجأ .
قدم	عمل فى حياته من حسن الأعمال وسيئها .
بصيرة	شاهدٌ وحجةٌ ، وبينةٌ من أمره .
بنانه	البنان : أطراف الأصابع .
أيان ؟ !	متى ؟ ! والاستفهامُ بها يكونُ فى موضع التهويل.
خسف القمرُ	ذهب ضوءه .
لا وزرَ	لا حصن ولا ملجأ .
ينبأ	يُكشف له عن حاله ، فيزن أموره بنفسه .
وأخرَ	وترك من آثار يقتدى الناسُ بها فى خير أو شر .
معاذيره	حججه للدفاع عن نفسه ، جمع معذرة .

مجمل المعنى

١ — افتتح الله هذه السورة بتحقيق أمر البعث ، مؤكداً له بالقسم المنفى ، وقد سبق لنا شرحُ شبيهه ، وكأن الأمر لا يحتاج إلى قَسَم ، ولقد جاء القسم

هنا بما عظم خطره ، وجل شأنه ، وهو يومُ القيامة ، والنفسُ الخيرةُ الحساسة ، التى تحاسب صاحبها على كل صغيرة وكبيرة ، فتدفعهُ إلى الخير دائماً ، ورُتبتُها فوق النفس المطمئنة ، التى وعدها الله بدخول الجنة ؛ فالمقسم هنا لتقرير هذا اليوم ، وتأكيد حدوثه ، على رغم إنكار الكافر لقدرة الله تعالى على إعادة خلق الإنسان ، وجمع أجزائه بعد فنائها ، مع أن قدرة الله لا يقف أمامها مستحيل ؛ وإعادة الإنسان على ما كان عليه سهل ميسور ، بل هو قادر على ما هو أعظمُ من إعادة خلقه ، فإن أطراف أصابعه التى تختلف بصماتها فى كل فرد عن الآخر ، منذ خلق الله الإنسان إلى الآن ، وإلى أن يرث اللهُ الأرض وما عليها ، أكثر دلالة على القدرة الإلهية ، من إعادة الموتى إلى الحياة .

٢ — وفى ذلك أكبر دليل على عظمة هذه القدرة الإلهية ! فالكافر المنكرُ لا يطلب الحقّ والمعرفة ، وإنما يدفعه إلى ذلك التكذيب ، إنه يريد أن يركب رأسه ، ويمعن فى شهواته المحرمة ، متمادياً فى ذلك طوال حياته ؛ فإذا لامه لائمٌ ، أو وعظه واعظٌ ، سأله ساخراً مُنكراً : متى يأتي هذا اليوم ؟ وسوف يلقى نتيجة إنكاره وسخريته ، متى حل ذلك اليوم ، فيرى الهول مجسما حين يضطرب أمرُ العالم ، فيخسف القمر ، ويذهبُ نوره ، ويصطدم بالشمس لضعف ما كان بينهما من تماسك ، فتكون نهاية العالم فى الدنيا ، عند ذلك يعمى بصره ، ويبحثُ عن الخلاص ، وطريق النجاة ، والحصن الذى يحميه ، فإذا هو فى يوم الحساب أمام الله تعالى ، وإذا أعماله تنكشف أمامه ، فيحكم على نفسه ، وتشهدُ عليه أعضاؤه ، فلا يستطيع أن يدفع عن نفسه ، فيبرئها مما ارتكبت فى الدنيا ، مهما التمس لنفسه من الأعذار .

(٢)

من الآية ١٦ إلى الآية ٢٥ من سورة القيامة

لَا تُحَرِّكْ بِهِ

لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ
قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾
وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾
وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾

شَرْحُ الْأَلْفاظ

الألفاظ	شرحها
لا تحرك به	لا تتعجل فى تحريك لسانك ، مردداً ما يبلغك جبريل إياه .
بيانه	إظهاره حتى تحفظه عن ظهر قلب .
ناضرةٌ	حسنة جميلة .
باسرةٌ	عابسة كالحة .
تظنّ	تتوقعُ .
قرآنه	قراءة جبريل .
العاجلة	الدنيا الفانية .
ناظرة	متطلعة إلى ثوابه ، منتظرة .

الألفاظ	شرحها
يفعل بها	ينزل بها .
فاقرة	داهية تقصم العمود الفقرى .

مُجْمَلُ ٱلْمَعْنَى

١ – حينما كان جبريل عليه السلام يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم الآيات ، كان النبي لشدة حرصه على ما يتلقاه ، يُحرّك لسانه وشفتيه ، متعجلا فى حفظ ما يبلَّغه واستظهاره ، خشية أن ينساهُ ، وكان ذلك يشق عليه ، فنهاه الله عن ذلك ، وذكر لهُ أن جبريل سيقرئه ما يوحيه إليه حتى لا ينسى ، وطلب منه ألا يعجل بالقراءة ، من قبل أن يقضى إليه ما يبلغه جبريل إياه ، وبين له أن الله سيوفقه لقراءته ودراسته ، حتى يحفظه عن ظهر قلب فلا ينساه ، بل إن حكمة الله اقتضت أن يجمع القرآن فى صدر النبي ويثبته فيه ؛ من أجل هذا يجب على النبي حين يَسمعُ القرآن من جبريل ، أن يُنصت حتى يَفرغ ، وألا يجعل قراءته مقارنة لقراءة جبريل ، فإذا فرغ جبريل ردد فى نفسه ما سمع ؛ فكان صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ، إذا نزل عليه جبريلُ بالوحى ، أطرق وأصغى ، فإذا رَدَّدَهُ فى نفسه ، وجده منقوشاً فى صدره .

٢ – وبعد أن أتم الوحى ما أبلغه إلى الرسول من تعليم وإرشاد ، عاد إلى الحديث عما يتصل بما بدأ به هذه السورة ، فبين أن هؤلاء المكذبين قومٌ يحبون

الدنيا الفانية، لما فيها من اللذائذ العاجلة الفاتنة ، ويتركون الآخرة الباقية ، بالإعراض عن الأعمال التى تؤدى إليها ، حيث يكون الناسُ فيها فريقين : فالمؤمنون المصدقون، تكون وُجوههم مُشرقة مستبشرة ، يبدو عليها البهجة والسرور ، وتتطلع إلى ثواب الله ، وجزائه فى جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار ، يتمتعون فيها بالنعيم المقيم ؛ والكفار المكذبون ، تكونُ وجوههم عابسة كالحة ، حائلة اللون ، يتوقعون أن تَنزلَ بهم داهية تزلزلُ أقدامهم ، وتقصم ظهورهم ، لما كسبوه من الخطيئات ، واقترفوا من السيئات .

(٣)

من الآية ٢٦ من سورة القيامة ، إلى آخر السورة

كَلَّآ إِذَا
بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالْتَفَّتِ
السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾
وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ
فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ
سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ
فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ
بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
التراقى	جمع ترقوة ، وهى عظمة عند النحر .
راق	يُعوِّذ المريض بكلمات سحرية أو دينية .
ظن أنه	تأكد أن الأمر الذى نزل به .
الفراق	الموت الذى يفارق فيه الدنيا .
التفَّت الساق بالساق	اشتد الأمر والهول .

الألفاظ	شرحها
المساق	سوقك وجرك إلى ربك للحساب .
تولى	أعرض ونأى .
يتمطى	يتكبر ويتبختر ، ويتباهى بعناده وكفره .
أولى لك	أحق وأجدر بك .
سدى	هملا بدون تكليف وشرع .
نطفة	جزء قليل من السائل الحقير .
يمنى	يُراق .
علقة	قطعة دم متجمدة .
سوّى	جعلها جميلة متناسبة الأجزاء .

مجمل المعنى

١ — ارتدعوا أيها المعاندون عن تفضيل الدنيا على الآخرة ، واذكروا ما ينزلُ بكم من فادح الهول عند الموت ؛ إنكم إذا أشرفتم على الموت ، فصَعدت الروح ، وبلغتْ عظمتى الترقوة ، فضاقت أنفاسكم ، وجحظت عيونكم ، وقال أهلوكم : أين المنقذ الذي يرقيي رقى ويعوّذُ المرضَى ، بعد أن استفحل الداء ، وعز الدواء ؟ عند ذلك يعلم المحتضر أنه الموتُ الذي كان يخشاه ، ولا فائدة ترجى من طب الأطباء ، أو رُقَى المشعوذين ، ويشتد الخطبُ عند نزوع الرّوح ، ويفدح الأمر ، ثم يدفع إلى الآخرة عند الله للحساب ، وليس له من عمل يؤجر عليه ، فلا هو صدّق بكتب الله ورسله ، وعمل صالحاً ينفعه فى الآخرة ، ولا هو صلى صلاةً تُكتبُ في حسناته ، ولا هو استغفر ، ولكنه كذب بالله ، وأعرض عن طاعته ، ثم عاد إلى

أهله وعشيرته يتبختر في مشيته ، تباهياً بما فعل ، وكأنه لم يفعل شيئاً من المعاصي .

٢ — وكان أبو جهل ونظراؤه يغشون مجلس الرسول ، ويسمعون القرآن ، ثم يخرجون مكذبين ساخرين مستهزئين ، ويذهبون إلى عشيرتهم مباهين بما فعلوا مع الرسول ، وما قالوه فى حضرته من ألفاظ السباب والسخرية ، لينالوا إعجاب قريش بهم ، ورضاهم عنهم ! وحدث أن رسول الله قابل يوماً أبا جهل ، فأخذ بمجامع ثيابه وقال له : «أولى لك فأولى» ، يريد تهديد أبى جهل ، فيقول : قاربك ماتكره يا أبا جهل ، فالأجدر بك أن تؤمن ، قبل أن يحل بك سخط الله وعذابه ، وكررها رسول الله للتهديد والوعيد ، فقال أبو جهل : أتهددني يا محمد ؟ إنك لا تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئاً ، وإنى لأعز أهل هذا الوادي ، ثم انسل ذاهباً ، فأنزل الله على رسوله ما قاله لأبي جهل ؛ وقد ظل أبو جهل على كفره ، حتى قُتل فى وقعة بدر .

٣ — أيظن هؤلاء أن الله يترك الإنسان يعيث فساداً فى الأرض ، بدون شريعة تهديه ، كالبهائم المرسلة ، ولا يحاسبه يوم القيامة على إحسانه أو سيئاته ؟ ! أليس الله قادراً على إعادة خلقه مرة أخرى يوم البعث ؟ وقد سبق أن خلقه من ماء مهين حقير ، تحول قطعة من الدم ، ثم صوره وسواه جنيناً ، فكان إنساناً ذكراً أو أنثى ، أليس الذى فعل ذلك أول مرة ، قادراً على إعادته ، وإحياء الموتى يوم القيامة ؟ ! بل إعادة الخلق أيسر وأسهل ، ففكروا واتعظوا ، واعملوا لآخرتكم يا أولى الألباب ، لعلكم ترحمون .

سورة الإنسان

نزلت بالمدينة ، وآياتها ٣١ آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية الثالثة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
هل	قد .
نطفة	قليل من السائل .
أمشاج	أخلاط من العناصر المختلفة ، والطبائع المتباينة ، مفردها : مَشِيج .
نبتليه	نختبره ونمتحنه .
سميعاً بصيراً	ذا سمع وذا بصر ، أو ذا عقل وإدراك .
هديناه السبيل	أريناه أنواع الطرق المختلفة ، ودللناه على خيرها وشرها .
شاكراً	مُقدراً لنعمتنا عليه .
كفوراً	جاحداً للنعمة ، حائداً عن طريق الهداية والرشاد .

مجمل المعنى

قد أتى على كل إنسان ، وعلى الجنس البشري عامة قبل خلقه ، وقتٌ من الزمان ، لم يكن له فى الحياة ذكر ولا مكان ، ثم خلقه اللهُ من مويهة صغيرة تافهة ، اجتمعت فيها عناصر شتى مختلفة ، وامتزجت تلك العناصرُ بعضها ببعض ، تحملُ فى جواهرها طبائعه التى يرثها عن آبائه ، ويورِّثها من بعده أعقابه ، فتتوزع بين أفرادهم ، على تفاوت بينهم فى ذلك : من حيث القوة والضعف ، والقلة والكثرة ؛ ولذلك اختلفت طبائع الناس ، وتنوعت أفكارهم ومشاربهم ؛ ولقد خص الله الإنسان بنعمة العقل والإدراك ، ومنحه السمع والبصر ، لكى يختبره ويمتحنه ، بعد أن أنزل عليه الشرائع ، تبين له الخير والشر ، وتهديه سواء السبيل ، وهو بعد ذلك : إما أن يكون شاكراً لنعمة الله ، فيسلك طريق الخير ، ويستحق رضاه ، فيحظى بثوابه ؛ أو منكراً جاحداً لأنعمه ، فيخالف أمره ، وينهج سبل الشر ، فيستحق سخطه وعذابه .

(٢)

من الآية ٤ إلى الآية ٢٢ من سورة الإنسان

إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ
سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ
مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ
بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ
عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ
مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾
فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم
بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ
فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ
قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ
كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ
فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ف
وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا
مَّنثُورًا ﴿١٩﴾

وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ
ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ
رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم
مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
أعتدنا	أعددنا وهيأنا .
أغلالا	أطواقاً من حديد ، والمفرد : غُل .
سعيراً	ناراً موقدة .
الأبرار	الأخيار الصادقين الأتقياء .
مزاجها كافورا	شرابها ممزوج بالكافور الطيب الرائحة .
يفجرونها تفجيرا	يُخرجون ماءها حيث شاءوا فى سهولة .
النذر	كلّ فعل أوجبه الإنسان على نفسه .
مستطيرا	منتشراً فاشياً .
على حبه	مع حاجتهم إليه ، وحبهم له .
قمطريرا	شديداً مظلماً .
وَقاهم	حفظهم .
لقّاهم	أعطاهم .
نضرةً	بشاشة وبهجة وحسنا .

الألفاظ	شرحها
متكئين فيها	جالسين فى الجنة ، وهى حال من : « هم » فى جزاهم .
الأرائك	الأسرَّة ، المفرد : أريكة .
شمساً	حرًّا شديداً .
زمهريرا	برداً شديداً .
دانية	قريبة .
ذللت قطوفها	تدلت عناقيدها ، وصارت سهلة التناول .
قواريرا	أوعية رقيقة ، لها بياض الفضة وصفاء الزجاج ، وهى جمع قارورة .
قدروها تقديرا	قدرها الغلمان على قدر حاجة الطاعمين والشاربين .
سلسبيلا	سُميت كذلك ، لأن ماءها يسهل شربه .
مخلدون	لا يموتون ولا يهرَمون .
وإذا رأيتَ ثَمَّ	أينما وقع نظرُك هناك فى الجنة .
نعيما وملكاً كبيراً	رأيت نعيما لا يحده وصف ، وملكاً واسعاً تستوعب به النفس كل هناءتها ومسرتها .
عاليهم	فوق أجسام أهل الجنة .
سندس	نسيج من حرير رقيق .
إستبرق	نسيج من حرير سميك .
حُلُّوا	ألبسوا الحلىّ .
شراباً طهوراً	شراباً نقيًّا من كل شائبة .

مجمل المعنى

١ — بين اللهُ ما أعده للكافرين من أدوات التعذيب ، فالسلاسل تقيد أرجلهم وأيديهم ، والأطواق توضع فى أعناقهم ، والنار الموقدة تتسلط على أجسامهم ، فيكون عذابهم أليماً .

٢ — وبيَّن ما أعد للأخيار من عباده الصالحين ، من شراب طهور ، له رائحة الكافور الطيبة ، وبرده وعذوبته ، وهذا الشراب يخرج من عين يتفجر ماؤها دائماً ، فيتناولونه متى أرادوا ، وكيفما شاؤوا ، والكافورُ : نبتٌ يستحسنه العرب ، لطيب شذاه .

٣ — إيثار

مرض الحسن والحسين ابنا علىّ رضى الله عنهم أجمعين ، فعادهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه جماعة من أصحابه ، فقالوا لعلىّ : يا أبا الحسن ، لو نذرت على ولديك ! فنذر علىّ وفاطمةُ رضى الله عنهما وجاريتهما فِضة ، صوم ثلاثة أيام إن برئا ، فشفيا فصاموا ، وتصدقوا بفطورهم في اليوم الأول على مسكين وفي اليوم الثاني تصدقوا على يتيم وفي اليوم الثالث تصدقوا على أسير . فنزل سيدنا جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الآيات : « يوفون بالنذر ... » ،

ثم قال : خذها يا محمد ، هنّأك اللهُ فى أهل بيتك ؛ ولقد استحق هؤلاء الأبرار تكريم الله لهم ، لأنهم يتصفون بثلاث خصال :

ا — أنهم يوفون بالنذر ، فإذا نذروا لله صوماً أو صلاة أو صدقه ، صاموا وصلوا وتصدقوا .

ب — وخوفهم الله وعذابه يوم القيامة ، وهو اليوم الذى يشتد حره ، وتعم ظلمته .

جـ — والرحمة ، وهى من أخص أخلاق الأبرار ، فهم يعطفون على الضعفاء والمساكين ، فيقدمون لهم الطعام حتى في أوقات الشدة والفقر ، ويؤثرونهم على أنفسهم ، ويخصون بكرمهم المساكين واليتامى وأسرى الحرب ، يفعلون ذلك لوجه الله ، لا انتظاراً لمكافأة أو أجر ، ولكنهم يخافون ذلك اليوم الشديد : يوم القيامة ، ولذلك يدخلهم الله الجنة ، فتفبض وجوههم بشاشة وسروراً .

٤ — يكافىء الله المؤمنين الذين صبروا على أداء الواجبات ، واجتناب المحرمات ، بأن يدخلهم الجنة ، فيلبسوا فيها حريراً ، ويجلسوا على الأسرّة ، ويتمتعوا بجو جميل معتدل سَجْسَج ، لا هو حارّ لافح ، ولا بارد قارس ، فى ضوء ليس صادراً عن شمس ولا قمر ، بين أشجار كثيفة تظلهم ، وتهدل الثمار من أغصانها ، فتكون قريبة منهم ، سهلة القطف والتناول .

٥ — ويقوم على خدمتهم صبيان ، كأنهم فى جمالهم ، وصفاء ألوانهم ، وإشراق وجوههم ، اللآلىء الساطعة ، يطوفون عليهم حاملين الطعام ، فى صحاف من الفضة ، والشرابَ فى أكواب شفيفة رقيقة ، فتقرّ أعينهم ، وشرابهم من أعين في الجنة تسمى السلسبيل ، يجدون لمائها طعم الزنجبيل ، ورائحته وعذوبته ، ويلبسون ثياباً خضراً من الحرير ، رقيقة وسميكة ، ويتحلون بأساور من الفضة ، فيجمُل منظرهم ، وتتم متعتهم ، جزاء إيمانهم في الدنيا ! والمراد بهذا كله : أنهم يتمتعون فى الجنة بكل نواحي المتعة ،

من الطعام الهنيء ، والشراب المريء ، واللباس القشيب ، والراحة التامة ، والمنظر الجميل ، ويقال لهم حين تمتعهم بهذه الصنوف من النعيم : إن هذا جزاء ما قدمتموه ، من عمل صالح في الدنيا ، وإن سعيكم الحميد في الدنيا ، من العمل بأوامر الله ، واجتناب نواهيه ، استحققتم عليه هذا التكريم .

والمراد من كل ما تقدم : تصوير ما يلقاه الكفار من العذاب الأليم ، وما يلقاه المؤمنون من النعيم المقيم ، فى صورة ما اعتدنا أن نراه فى الدنيا .

تواضع الرسول

دخل عمر بن الخطاب رضى الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو راقد على حصير من جريد ، وقد أثر فى جنبه ! فبكى عمر ، فقال له النبي : ما يبكيك؟ قال : ذكرتُ كسرى وملكه ، وهُرْمُز وملكه ، وصاحب الحبشة وملكه ، وأنت رسول الله صلى الله عليك وسلم ، ترقد على حصير من جريد ؟ ! فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أما ترضى أن لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟ فأنزل الله تعالى : « وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكاً كبيراً » .

(٣)

من الآية ٢٣ من سورة الإنسان ، إلى آخر السورة

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ
لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ
رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا
طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ
يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا
بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ
إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ
أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

شَرْحُ الألْفاظ

الألفاظ	شرحها
اصبر لحكم ربك	تجمل بالصبر، لتأخير نصرك على كفار مكة وغيرهم .
آثماً	منغمساً في المعاصي ، كعتبة بن ربيعة .
كفورا	جاحداً للنعمة ، كالوليد بن المغيرة .
بكرة	قبل الظهر .
أصيلا	بعد العصر .

الألفاظ	شرحها
وسبحه ليلا طويلا	ونزه الله عن كل ما لا يليق به ، واذكره بالليل إلا قليلا : نصفه ، أو انقص منه ، أو زد عليه .
العاجلة	الدنيا وشهواتها .
يذرون	يتركون .
ثقيلا	شديداً .
شددنا أسرهم	جمّلنا خلقهم وأحكمناه .
تذكرة	عظة يتذكر بها الغافل .
سبيلا	طريقاً .
والظالمين .	ويعذب الظالمين .

مجمل المعنى

١ — بلغ النبي أن أبا جهل يقول : لئن رأيت محمداً يُصلي لأطأن عنقه ، فكان النبي عليه السلام يتألم من ذلك ، ومن حال الكافرين وعنادهم ، فيتمنى لهم الهداية ، أو يُعجل الله لهم العذاب ، حتى يكونوا عبرة لغيرهم ، فأخبره الله : أن هذا الدّين ديننا ، وهذا القرآنُ كلامنا ، ولله الأمر والحكم ، فلا تحزن يا محمد ، واصبر لحكم ربك ، حتى يقضي الله بينك وبين الكفار ، ولا تستمع إلى ما يمنّيك به عُتبة بن ربيعة ، بقوله : ارجع عن هذا الأمر ، وأزوجك ابنتي ، فإني من أجمل قريش ولداً ! ولا إلى ما يمنيك به الوليد بن المغيرة ، بقوله : ارجع عن هذا الأمر ، وأنا أعطيك من المال حتى ترضى ؛ فسينصرك الله عليهم ، ثم أرشده إلى ما يجب عليه ، ليسير المؤمنون على نهجه ، فأمره بذكر الله ، والخشوع له ، وعبادته وتسبيحه حصة طويلة من الليل بقلبه ولسانه ، لا تقل عن الثلث

ولا تزيد على الثلثين ، (تراجع الصفحة ٨١ من تفسير هذا الجزء) ، فإن فعلت وفعل المؤمنون ذلك أدوا واجبهم ، وضمنوا الثواب ! أما هؤلاء الكافرون ، فإنهم فضلوا اللذة العاجلة فى الدنيا ، على متاع الآخرة ، غير منتبهين إلى يوم الهول ، والعذاب الثقيل ، مع أن الله تفضل عليهم بنعمة الخلق والوجود ، وصورهم فأحسن صورهم ، ولو أراد البطش بهم لفعل ، وأتى بخلق جديد غيرهم ، يعمر الدنيا بعدهم .

٢ — هذه السورة جاءت عبرة وعظة وتذكرة ، لما اشتملت عليه من المعانى الجليلة ، والأدلة المقنعة ، وهى :

(ا) تذكير الإنسان بالبعث ، وبأن الله الذى خلقه أولا ، ومتعه بنعمه ، قادرٌ على أن يُعيد خلقه ، وينبعثه بعد الموت .

(ب) وتخويف المكذبين بما أعده الله لهم ولأمثالهم ، من الأغلال والسعير .

(جـ) وترغيبهم فى الإيمان ، بما هيأه للمؤمنين من وسائل الغبطة والسعادة فى الآخرة .

فمن شاء بعد ذلك فليؤمن ، ويتبع سبيل الهدى ، فيعبد الله ، ويعمل صالحاً ؛ وسبيل النجاة ممهد لمن أراد أن يسلكه ! غير أن العناد والجهل يحولان بين الكافرين ، وبين نور الهدى والحق ، فلا يشاءون التحول عن غيهم ، والله عليم بأحوال خلقه ، حكيم فيما يرسمه لهم من السنن ! ثم بين عاقبة الفريقين : فالمؤمنون يُدخلهم جنة الخلد ، والظالمون يُعذبهم بنار جهنم ، وبئس المصير ! .

سُورة المرسَلات

نزلت بمكة، إلا الآية ٤٨ فقد نزلت بالمدينة ، وآياتها ٥٠ آية

(١)

من الآية الأولى إلى الآية ١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾
فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا
تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ
﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ
أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾
كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

شَرْحُ الألْفاظ

الألفاظ	شرحها
والمرسلات عُرفاً	أقسم بالرياح الهادئة التى يرسلها الله إرسالا متتابعاً.
العاصفات	الرّياح التى تهب بشدة .
الناشرات	الرياح التى تنشر السحب فى السماء .
الفارقات	الرياح المتغيرة فى اتجاهاتها ، فتفرق هذه السحب وتوزعها .
الملقيات	المنزلات .
ذكراً	أثراً قوياً فى حياة الناس وأرزاقهم .
عُذراً	رفعاً للوم المعتذرين .
نُذراً	إنذاراً وتخويفاً .
ما توعدون	يوم القيامة والحساب .
لواقعٌ	لنازل ، وحاصل لا ريب به .
طُمستْ	ذهب ضوءُها .
فُرجت	حدث تشقق فيها ، وفروج بين أجزائها .
نُسفت	تطايرت أجزاؤها ، وتبعثرت ذراتها .
أقّتت	بلغوا الوقت الذى كانوا ينتظرونه .
لأى يوم أجلت	لأى يوم أخرت الأمور الخاصة بأقوام الرسل ، وهى عذاب المكذبين ، وجزاء المؤمنين ؟
يوم الفصل	يوم القيامة الذي يحاسب فيه الناس ، وهو يوم القضاء الفصل .
ما أدراك	ما أعلمك ؟
الأولين	الأمم السابقة ، كقوم عاد وثمود .
الآخرين	الأمم المتأخرة ، التى جاءت بعد السابقة .

مجمل المعنى

١ — أقسم اللهُ بالرياح على اختلاف أنواعها ، الهادية منها والعاصفة ، والتى تحيد عن طريقها ، وتغير اتجاهها ، لما لهذه الرياح من أثر بين فى حياة الناس وأرزاقهم ، فهى تُثير السحاب ، وتنشره فى الجهات المختلفة بتغير اتجاهها ، ثم تُفرق بين أجزائه ، فتتساقط مطراً يحيي الأرض ، ويمحو القحط ، ويصيب منه الناسُ الرزق ، فمنهم من يُقدر هذه النعمة فيؤمن بالله، ويشكرُ فضله،ويعتذر عما فرط منه، ويتوب إلى الله ويستغفره عند مشاهدته آثار رحمته ، ويعملُ من الصالحات ما يرفعُ عنه العذاب ، ويكفِّر عن سيئاته؛ومنهم من تزيده النعمة عتوًّا وطغياناً،وتكبراً وضلالا ، فيكون ذلك الخيرُ الهابط عليه من السماء سبباً فى غضب الله ، ونذيراً بعذابه يوم القيامة ، الذى ليس فيه شك ! وأقسم الله هنا لايقاظ الفكر ، وتنبيه الشعور ، حتى يتعظ الناس ، ويتأكدوا أنهم سيحاسبون ، فيثابون أو يعذبون يوم القيامة .

٢ — إذا جاء يوم القيامة ، اضطرب نظامُ العالم ، وانتثرت الكواكب ، وذهب ضوءها ، وتشققت السماء ، وتفرقت أجزاؤها ، ودكت الجبالُ ، وتبعثرت ذراتها ، فكانت نهاية العالم الدنيوى على هذه الصورة المخيفة المفزعة ؛ هذا ما يكونُ من شأن الأرض والسماء ، أما الإنسان فإن أمره سيكون أعظم ، حتى الرسل أنفسهم ، فإنهم يغشون ذلك الموقف الرهيب الذى كانوا ينتظرونه ، فيشهدون على أممهم ، ويبرئون أنفسهم من تبعة التفريط فى

تبليغهم ، أو التقصير فى إنذارهم بهول هذا اليوم : يوم القضاء الفاصل الذى يُحاسب الناسُ فيه على أعمالهم .

٣ — والعذاب الشديدُ لأولئك الذين كذبوا بهذا اليوم ، ولم يتزودوا فى دنياهم له بالعمل الصالح .

٤ — بعد أن أكد الخبر بحدوث يوم القيامة ، وخوف المكذبين عذابه ، عاد فحذرهم بطش الله بأسلوب آخر ، فصور لهم حال الأمم الغابرة التى كذبت رُسلها ، وقد أهلكها الله جيلا بعد جيل ، فهذه أغرقها ، وتلك سلط عليها ريحاً صرصراً عاتية ، وأخرى دمدم عليهم ، وهدم ديارهم ؛ وكذلك يفعل الله بمن كذب وتكبر ، وعصى وتجبر ، فالويل لمن لا يصغى لصوت الحق .

(٢)

من الآية ٢٠ إلى الآية ٤٠ من سورة المرسلات

أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن
مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا
فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ
كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ
وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ
مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ
وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ
صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾
وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ
ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
ألم نخلقكم	تذكير للمكذبين بقدرة الله .
ماء مهين	ماء حقير .
قرار مكين	مكان مصون يستقر فيه ، « وهو الرحم » .
قدر معلوم	زمن معين ، وهو وقت الولادة .
قدرنا	قدرنا وهيأنا هذا الماء ، فتطور إلى جنين بترتيب عجيب .
كفاتا	نُضَمُّ إليها ، ونُحمل على ظهرها ، والكَفت : الضم والجمع ، فالأحياء يسكنون فى المنازل على ظهرها ، والأموات يُدفنون فى القبور .
رَواسى	جبالا ثوابت .
شامخات	عاليات .
فراتاً	عَذباً سائغاً .
ثلاث شعب	ثلاثة فروع .
لا ظليل	لا يُظل من تحته ، ولا يقيه لفح الحر .
يُغنى	يُبعد .
شرر	ما يتطاير من النار أثناء تلهبها .
كالقصر	فى حجم القصر .
جمالةٌ	فى حجم الجمل ، والجمالة : جمع جمل .
لا ينطقون	لا يتكلمون ولا يعتذرون .
كيد	الكيد : المكر وتدبير الحيلة .
فكيدون	فاحتالوا للنجاة من عذاب الله فى الآخرة .

مجمل المعنى

١ — إذا كنتم تُنكرون قدرة الله على بعثكم ، وفضله عليكم ، فإليكم دليلا آخر على قدرته ، فقد أنشأكم من ماء حقير ، وهيأ له قراراً مصوناً فى الرحم ، فتطور فى مدة معينة ، حتى صار جنيناً بترتيب عجيب محكم ، وكان تقديرنا على هذا النحو منة منّا ونعمة ؛ فالويل للمكذبين يوم القيامة !.

٢ — وهذه الأرض ، انظروا إليها ، فقد ضمت جميع الأحياء والأموات ، وكفل الله لكم فيها الراحة والنعمة ، بأن ثبتها بالجبال الشامخة التى حفظت توازنها ، وهطلت الأمطار فوقها ، فكان فيها الماء العذب السائغ الذى تشربونه ، وتُروون به أرضكم ! أليس الذى يفعل ذلك كله ، قادراً على أن يحيى الموتى ؟ ، ويل لمن جحدوا نعمتى ! .

٣ — اذهبوا أيها الكفار المكابرون لتلقوا العذاب الذى كذبتم به فى الدنيا ، فذوقوا فى الآخرة نار جهنم ، لعلكم تجدون ظلا ظليلا يحميكم من سعيرها ! سيكون لكم هذا الظل ، ولكنه ظل جهنمى ، غير ظليل ولا واق من السعير ، بل سيزيد فى عذابكم بشعبه الثلاث :

ا — الشعبة الأولى تغشاكم بدخانها ، فتحبسُ أنفاسكم ، وتخرس ألسنتكم .

ب — والثانية تكويكم بحرها .

ج — والثالثة ترميكم بشرر مختلف الأشكال والأحجام ، بعضه فى حجم القصر ، وبعضه فى حجم الجمل ، وتتابع نحوكم ، كأنها قافلة مقبلة عليكم .

وإن هول هذا اليوم وعذابه ، وظلاله الجهنمية ، يُخرس ألسنة المكذبين ، فلا ينطقون بكلمة ، ولن يُسمح لهم بالاعتذار فيعتذروا ؛ والويل لهم حينذاك ! .

٤ — حينئذ تعلمون أن وعد الله حق ، وترون إخوانكم المكذبين من الأولين والآخرين ، يقاسون ما يقاسون ، فتحاولون الخروج من هذا العذاب ، فيقال لكم : لقد كنتم تمكرون فى الدنيا ، وتفعلون الأفاعيل ؛ فافعلوا اليوم ما كنتم تفعلون ، واحتالوا على الخلاص إن قدرتم ، فلن تستطيعوا أن تدفعوا العذاب الواقع بكم أيها المكذبون ؛ والويل لكم !.

(٣)

من الآية ٤١ من سورة المرسلات ، إلى آخر السورة

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ
مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا
إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا
لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

شرح الألفاظ

الألفاظ	شرحها
المتقين	المؤمنين المصدقين ، الذين يخشون ربهم بالغيب .
يشتهون	يُحبون .
هنيئاً	هانئين متمتعين .
كلوا وتمتعوا قليلا	المراد : التهديد والوعيد ، أى : تمتعوا بمتع الدنيا الزائلة زمناً قليلا .
مجرمون	مذنبون .
اركعوا	اخشعوا إلى الله وتواضعوا ، ودعوا هذا الاستكبار .

مجمل المعنى

١ — أما المتقون الذين آمنوا بالله ، وصدقوا الرسل ، فسيدخلون الجنة ، ويتمتعون فيها بصنوف المسرات والمتع : ظلال ممدودة عليهم ، ومياه من عيون جارية عذبة سائغة ، وفواكه شهية ، ويشنف آذانهم صوتٌ ملائكيّ رخيم ، يهنئهم بمُقامهم فى الجنة ، ويرحب بهم جزاء إيمانهم وإحسانهم فى الدنيا ! وجنات الخلد فيها أكثر من هذا : فيها ما لا عينٌ رأت ، ولا أذن سمعت ،ولكن صورها الله لنا بصورة ما نعرفه من مُتع الحياة : فالعين تسعد بالمنظر الجميل ، والنفسُ ترتاح إلى الظلّ الظليل ، والذوقُ يتمتعُ بالماء العذب ، والطعام الشهى ، والأذن تشنف بالصوت الرخيم .

٢ — هدد الله المكذبين بالعذاب ، وحقرهم ، وحقر دنياهم الفانية ، التى شغلتهم ملاذهم فيها عن التفكير فى مصيرهم .

٣ — إن العذاب الذى ينتظركم أيها المجرمون ، سيكون شديداً ، جزاء كبركم ، وعنادكم ، وعدم خضوعكم لله ، وجزاء تكذيبكم بالقرآن الكريم ؛ وإن أمركم لعجيب ، فإذا كان هذا حالكم مع القرآن ، الذي بلغ الغاية فى متانة اللفظ ، وإصابة المعنى ، المؤسس على الحجج القاطعة ، والبراهين الساطعة ، فبأي حديث بعد الله وآياته تؤمنون ؟ « ويلٌ لكل أفاك أثيم ، يسمع آيات الله تتلى عليه ، ثم يُصر مستكبراً كأن لم يسمعها » .

فهرست الجزء التاسع والعشرين من تفسير القرآن الكريم

الرقم	أسماء السور	أرقام الآيات فى المصاحف	أرقام الصفحات
١	الملك	من ١ — ١١	من ٣ — ٧
٢	»	» ١٢ — ٢٤	» ٨ — ١٢
٣	»	» ٢٥ إلى آخر السورة	» ١٣ — ١٥
١	القلم	» ١ — ١٦	» ١٦ — ١٩
٢	»	» ١٧ — ٣٣	» ٢٠ — ٢٣
٣	»	» ٣٤ — ٤٧	» ٢٤ — ٢٨
٤	»	» ٤٨ إلى آخر السورة	» ٢٩ — ٣١
١	الحاقة	» ١ — ١٢	» ٣٢ — ٣٥
٢	»	» ١٣ — ٢٤	» ٣٦ — ٣٩
٣	»	» ٢٥ — ٣٧	» ٤٠ — ٤٢
٤	»	» ٣٨ إلى آخر السورة	» ٤٣ — ٤٦
١	المعارج	» ١ — ١٨	» ٤٧ — ٥٠
٢	»	» ١٩ — ٣٥	» ٥١ — ٥٤
٣	»	» ٣٦ إلى آخر السورة	» ٥٥ — ٥٧
١	نوح	» ١ — ٧	» ٥٨ — ٦٠
٢	»	» ٨ — ٢٠	» ٦١ — ٦٤
٣	»	» ٢١ إلى آخر السورة	» ٦٥ — ٦٧
١	الجن	» ١ — ٥	» ٦٨ — ٦٩
٢	»	» ٦ — ١٠	» ٧٠ — ٧٢
٣	»	» ١١ — ١٥	» ٧٣ — ٧٤
٤	»	» ١٦ — ٢٣	» ٧٥ — ٧٨
٥	»	» ٢٤ إلى آخر السورة	» ٧٩ — ٨٠
١	المزمل	» ١ — ٩	» ٨١ — ٨٤
٢	»	» ١٠ — ١٤	» ٨٥ — ٨٦
٣	»	» ١٥ — ١٩	» ٨٧ — ٨٩
٤	»	» ٢٠ إلى آخر السورة	» ٩٠ — ٩٢

الرقم	أسماء السور	أرقام الآيات فى المصاحف	أرقام الصفحات
١	المدثر	من ١ — ١٠	من ٩٣ — ٩٥
٢	»	» ١١ — ٣٠	» ٩٦ — ١٠١
٣	»	» ٣١	» ١٠٢ — ١٠٤
٤	»	» ٣٢ — ٤٧	» ١٠٥ — ١٠٨
٥	»	» ٤٨ إلى آخر السورة	» ١٠٩ — ١١١
١	القيامة	» ١ — ١٥	» ١١٢ — ١١٤
٢	»	» ١٦ — ٢٥	» ١١٥ — ١١٧
٣	»	» ٢٦ إلى آخر السورة	» ١١٨ — ١٢٠
١	الإنسان	» ١ — ٣	» ١٢١ — ١٢٢
٢	»	» ٤ — ٢٢	» ١٢٣ — ١٢٨
٣	»	» ٢٣ إلى آخر السورة	» ١٢٩ — ١٣١
١	المرسلات	» ١ — ١٩	» ١٣٢ — ١٣٥
٢	»	» ٢٠ — ٤٠	» ١٣٦ — ١٣٩
٣	»	» ٤١ إلى آخر السورة	» ١٤٠ — ١٤١

رموز الضبط والوقف

ْ : دائرة صغيرة توضع فوق الحرف الذي لا يقرأ مثل : يتلوْ ، أوْلوْا العلم ، ثمودْ .

م : ميم صغيرة فوق الحرف تدل على ادغامه مثل جزاءً بما كانوْا

ـ : علامة المد الزائد .

مـ : علاقة الوقف اللازم .

لا : علامة الوقف الممنوع .

ج : علامة الوقف الجائز .

ط : علامة القطع .

صلى : علامة الوقف الجائز مع كون الوصل أولىٰ

قلى : علامة الوقف الجائز مع كون الوقف أولىٰ

∴ : علامة تعانق الوقف ، بحيث اذا وقف على كلمة ، لا يصح الوقف على الكلمة التالية مباشرة مثل : ذلك الكتاب لا ريبٌ فيهِ.

س : علامة سكته لطيفة .

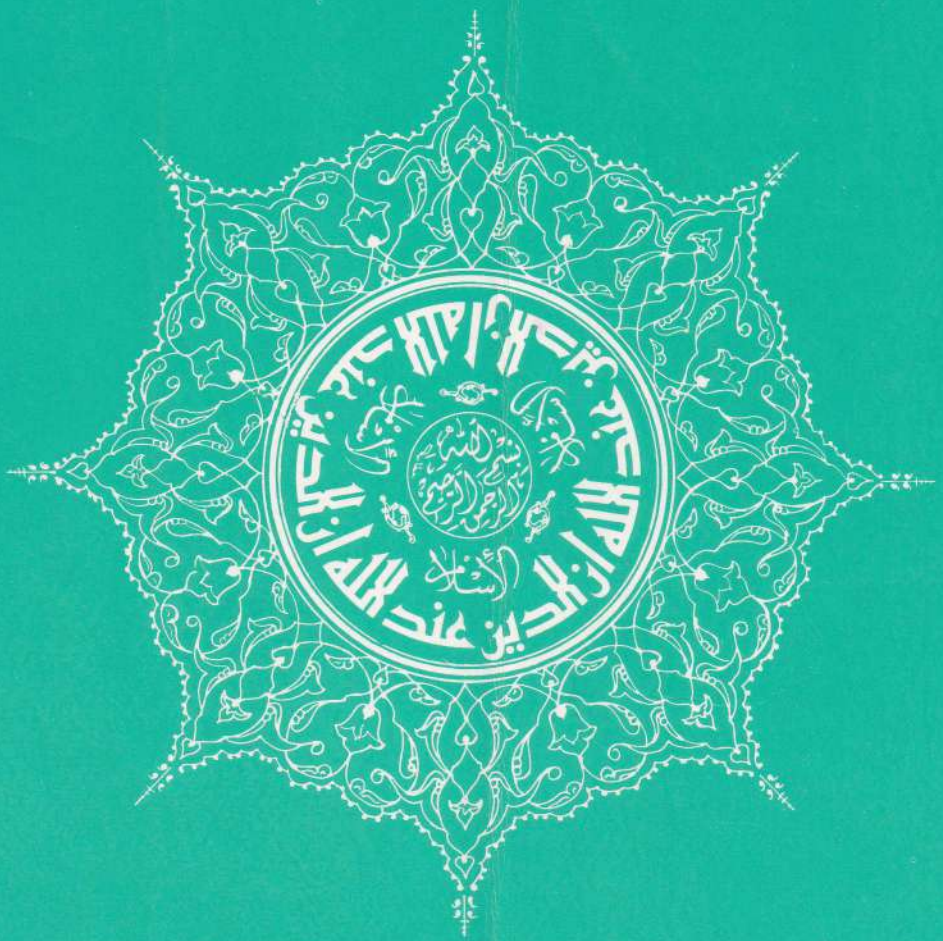

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٣٧٩ لسنة ١٩٨٢

الطبعة الثانية

١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

Printed in Italy by A. Mondadori Editore - Verona